أسس الفكر النسوي، دراسة تحليلية نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

دكتور/ خالد بن محمد القرني
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب والمعاصر
كلية الشريعة وأصول الدين-جامعة الملك خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمات المفتاحية: الفلسفة النسوية، الأسس الفلسفية للفكر النسوي، الفلسفة المعاصرة، الجندر، مكانة المرأة في الإسلام.

الملخص: يهدف هذا البحث بصورةٍ رئيسةٍ إلى الكشف عن الأسس الفلسفية التي يجمع عليها الفكر النسوي اليوم؛ وقد بينَتْ هذه الدراسة أنَّ أركان ماهية أي تنظيرٍ نسوي يرجع إلى: مفهومه لحقيقة الأنثى، وإلى تمركزه حول شعار الحرية المطلقة، وموقفه البراغماتي من الدين، وموقفه من حقيقة الجندر وما يلزم عن ذلك من أدوارٍ اجتماعية، كما نفت هذه الدراسة أي مسوغ لنشوء مثل هذه الفلسفة -المتطرفة في اتجاهها الشائع والمتأخر- في البيئة الإسلامية؛ لكون الإسلام ضمن للمرأة -كما ضمن للإنسان عموماً- تحقق ما يكفل للأنثى مكانتَها وكرامتها ووجودها الإنساني بعيداً عن شعارات الاتجاه النسوي الوهمية الفضفاضة. ولكون الإسلام -عقيدة وشريعة- جاء يهدي الإنسان إلى ما ينفعه أبداً فلا يمكن أن يهديه إلى عدميةِ هويته، وإلى وهميةِ حريته المطلقة، وإلى مخالفة فطرته الدينية وطبيعته الخَلْقية المتمثلة في جنسه، وكان هذا هو الجوهر الذي انتهت إليه هذه الدراسة.

Basis of the feminist thought – a critical analytical study in the light of the creed of Ahlu Sunnah Wal Jama'a

Prof. Khalid Ben Mohamed Alqarni
Department of Contemporary Creed and Doctrines – College of Sharia and Fundamentals of Religion – King Khalid University

Keywords: feminist philosophy, the philosophical basis, the basis of feminist thought, contemporary philosophy, gender, and the position of women in Islam.

Abstract: this paper aims mainly to reveal the philosophical basis on which feminist thought is unanimous today. This paper indicated the essence of pillars of any feminist conceptualization are: his concept of female truth, his position on the slogan of absolute freedom, his pragmatic position on religion, his position on the reality of gender and the necessary social roles. This paper also denied any justification for the emergence of such a philosophy - extremism in its common and behind trend in the Islamic environment, because Islam has secured to women - as well as to men in general - that what is guaranteed to the female is her place, dignity and human existence, away from the fake slogans of the feminist tendency. And because Islam as – doctrine and creed- came to guide a person to what ever benefit him, It cannot guide him to the lack of his identity, to the imagination of his absolute freedom, and to the violation of his religious instinct and the moral nature of his gender, and this was the essence of this study. This was the essence of this paper.

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

وبعد:

فإن المتأمل اليوم في الحراك الفلسفي يجد الفكر النسوي أحد أبرز التيارات المهمة في النشاط الفلسفي اليوم، ويحظى باهتمام بالغ على مستوى المفكرين والفلاسفة من جهة، والجمعيات والمؤسسات الحكومية والأهلية من جهة أخرى. والحقيقة أن هذا الاتجاه يستهدف الكثير من المسلمات، ليس على مستوى الأديان فقط، بل على مستوى العلم والقيم ومكونات المجتمع المختلفة، بدءاً بالإنسان في نوعيه: الذكر والأنثى، مروراً بالأسرة وعلاقات أفرادها، وانتهاءً بمختلف العلاقات المجتمعية. كل ذلك في ثوب الحقوق وحماية الحريات. وإذا كانت الرؤية الإسلامية تنطلق من إثبات أركان الإيمان، وتجعل كل القضايا محكومة بهذه الرؤية الإيمانية، وتتخذ صحيح الوحي طريقها الرئيس في التأسيس لمختلف الرؤى، ومعيارها الأساس في نقد الآراء التي تنتجها البشرية في مسيرتها الفكرية؛ فقد كان لزاماً على المشتغلين بالعلم الشرعي عموما، وعلم الاعتقاد على جهة الخصوص: البحث في الأسس الفلسفية لمثل هذا الاتجاه؛ في محاولة لرسم صورة بيّنة لهذا الفكر؛ رغبة في التأسيس لموقفٍ نقدي يستكمله الباحثون تباعاً، ويمكن من خلاله إبراز نظريةٍ للنقد الإسلامي تقوم على الوحي من جهة، والعقل السليم والعلم الصحيح من جهةٍ أخرى.

لقد شغلت المرأة حيزاً كبيراً من النتاج الفكري اليوم، وأضحت النسوية إحدى أهم الحركات التي انتقلت من كونها حركةً حقوقية إلى اتجاهٍ فلسفي، يحتاج المتعامل معه إلى تلمس أسسه الفلسفية؛ لما لذلك من الأهمية في معرفته، وبالتالي التعامل مع نتاجه قبولا ورفضا؛ لذا كان هذا البحث؛ لعله أن يسهم في النقد الإسلامي للمذاهب الفكرية المعاصرة، وأن يؤسس لرؤية موضوعية حيال الفلسفات الوافدة، من خلال التركيز على الأسس المكوِّنة لمثل هذا التيار. وقد حرصت عند تناول هذه الأسس على أن يكون الحديث لأصحاب هذا الاتجاه، دون مزجه بشيء من النقد إلا لماما؛ رغبةً في الموضوعية والحياد؛ للتشكل الرؤية الصحيحة لدى القارئ عن الأسس التي ينبني عليها الفكر النسوي وإن اختلفت طرائق تناولها لدى المشتغلين بالتأسيس للفلسفة النسوية اليوم.

أهمية البحث:

١. اعتناء هذا الدين بالإنسان، وحرصه على بيان مكانته التي كرمه الله بها، والمرأة أحد جناحي المجتمع؛ ومن هنا كان الاهتمام بكل ما يتعلق بها من أطروحات داخلاً في مقاصد البحث العقدي.
٢. انتشار الفكر النسوي، حتى عم وأصبح الكل يتحدث فيه بعلم وبغير علم. وأصبح من مقاييس رقي الشخص –لدى بعضهم– الموقفُ من المرأة وفق الرؤية النسوية، والبعض يجعل أحد مذاهب النسوية معيارا لتقييم الأشخاص ثقافيا.
٣. الحاجة لمعرفة هذا الاتجاه من خلال مؤلفات أصحابه؛ رغبةً في القيام بالواجب الكفائي حيال الجيل الذي بات يتلقى الكثير من هذه الفلسفات بعين الإعجاب دون نقدٍ أو تمحيص.
٤. ضرورة التأسيسِ لرؤية نقدية لمثل هذا الاتجاه، تقوم على إبراز الأسس الفلسفية التي يقوم عليها.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أهمية هذا الموضوع من حيث انتشاره وكثرة المتأثرين به.
٢. الرغبة في التعرف على هذا الاتجاه؛ للوصول إلى صورة واضحة عنه، يبنى عليها الموقف من هذا المذهب.
٣. كون الفلسفة النسوية إحدى الاتجاهات الفكرية الداخلة في تخصص العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة.
٤. نقص الكتابات الرصينة والموضوعية حيال هذا الاتجاه، فكثير منها ما هي إلا رافضة دون فهم للأسباب، أو قابلة بكل انهزامية لما تمليه النسوية، والحالتان تحتمان وجود تصور صحيح لما هي النسوية.
٥. كون الفلسفة النسوية في بعض أطروحاتها يكتنفها الغموض والضبابية، فتارةً تحارب الأديان، ومرة تحارب الأعراف والتقاليد، وتارةً تحارب الرجل، وأخرى ربما حاربت المرأةَ نفسها، فاستلزم الأمر محاولة لمعرفة حقيقة هذا المذهب من خلال استجلاء الأسس المكونة له.
٦. أهمية إبراز مكانة المرأة في الإسلام.

أهداف البحث:

١. إبراز الأسس الفلسفية التي تقوم عليها الفلسفة النسوية؛ لصناعة الوعي الموضوعي بهذا الاتجاه؛ كي يمكن حينها اتخاذ موقف واضح بناء على المعطيات الصحيحة.
٢. توضيح مكانة المرأة في الإسلام.
٣. المساهمة في الدراسات التأسيسية التي يمكن البناء عليها من الباحثين المهتمين بتناول الاتجاهات الفكرية المعاصرة.

منهج البحث:

اجتهدت في استعمال **المنهج الوصفي** عند الحديث عن الأسس الفلسفية لهذا الاتجاه، معتمداً على ما كتبته النسويات والمنحازون للفكر النسوي وما كتب عنهم مما رأيته يتسم بالموضوعية. كما استعملت **المنهج التحليلي** في: دراسة أسباب النشوء، والربط بين العوامل المختلفة. واستعنت **بالمنهج النقدي** على جهة التضمين لتبيين مكانة المرأة في الإسلام.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما اطلعت عليه من تناول الأسس الفلسفية لهذا الاتجاه بشيء من التحليل وفق الرؤية الإسلامية. وقد وقفت على كتاب "الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي" للكاتبة الأردنية خديجة العزيزي الصادر عن بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بطبعته الأولى لعام ٢٠٠٥م (بيروت–لبنان) وبتقديم ناصيف نصار، فوجدته مختلفاً عن هذا البحث، وإن ظهر للوهلة الأولى شيء من الشبه بين عنوان بحثي وعنوان الكتاب، فالكتاب يعتني بالمدارس الفلسفية التي أثرت في هذا الاتجاه، ويطلق على ذلك اسم "الأسس الفلسفية" على جهة التجوز. فهو مختلف عن بحثي من حيث الفكرة والمضمون[١]، كما ركزَتْ على التيارات النسوية الغربية فقط، وناقشتْ بعض مواقفها انطلاقا من قناعات الكاتبة الفلسفية والفكرية، أما في هذا البحث والذي يختلف جذريا عن هذا الكتاب: فإني **أولاً:** أتناول الأسس الفلسفية التي اعتنت بها جميع الحركات النسوية، باتفاق بينها في الاهتمام بهذه الأسس، سواءً اتفقت في طريقة تعاملها مع هذه الأسس أو اختلفت، ولكن ما يهمني هو أن يكون هذا الأساس مركزيا في تشكيل هذه النظرة النسوية، فاخترت

(١) انظر مقدمة الكتاب، الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، خديجة العزيزي، صـ١٣-١٤.

بعد البحث والاطلاع، **أربعة أسس** لا تنشأ حركة نسوية دون أن تتطرق لها، **وهي:** "**ماهية الأنثى بين المساواة وتفضيل المرأة على الرجل**"، "**الحرية**"، "**الموقف من الدين**"، "**الموقف من الجندر**". ثم إن هذا البحث يتناول الحركات النسوية بغض النظر عن موقعها الجغرافي، **وأخيرا** فإن بحثي يتناول النقد إجمالاً من حيث النظرة الإسلامية، معتمداً على الوحي منهجاً ومصدراً في تقييم هذه الحركة.

حدود الدراسة:

هذه الدراسة تركز على بيان الأسس الفلسفية التي ينطلق منها الفكر النسوي؛ للكشف عن المنطلقات الفكرية التي تستبطنها الفلسفة النسوية في تناولها لقضية المرأة. مع بيان مكانة المرأة في الإسلام كرؤيةٍ تأسيسية للدراسات النقدية التي يمكن أن تُبنى على هذا البحث. وليس من شأن هذه الدراسة إفراد كلِّ أساسٍ بالنقد؛ لكون هذا الأمر مما لا يحتمله هذا النوع من الأبحاث.

مشكلة البحث وتساؤلاته المركزية:

تكمن إشكالية هذا البحث وسؤاله المحوري في: ما هي الأسس الفلسفية التي تُعد المكون الجذري للاتجاه النسوي، وما هي المكانة التي أولاها الإسلام للمرأة.

تبويب البحث:

- مقدمة، وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، ومشكلة البحث، والتبويب.
- تمهيد.
- المبحث الأول: الأسس الفلسفية للفكر النسوي.
- المطلب الأول: ماهية الأنثى بين المساواة وتفضيل المرأة على الرجل.
- المطلب الثاني: الحرية.
- المطلب الثالث: الموقف من الدين.
- المطلب الرابع: الموقف من الجندر.
- المبحث الثاني: أسس الفكر النسوي من خلال الرؤية الإسلامية للمرأة.
- الخاتمة. وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- أهم المصادر والمراجع.

والله تعالى من وراء القصد، وهذا أوان الشروع في المقصود؛ فيا رب يسر وأعن يا كريم

التمهيد

يشهد الواقع الفكري اليوم ظهور العديد من الاتجاهات في الفلسفة، إلى الحد الذي يمكن القول معه بأنه عصر جديد من عصور الفلسفة في التاريخ الإنساني. و"الفلسفة النسوية تعد من أبرز الفلسفات الغربية المعاصرة، وهي تلك الفلسفة التي صاغها النسويون، ولها أشكال مختلفة، كما أنها تنتقد موضوعات فلسفية تقليدية عديدة، وترتبط بمجالات الفلسفة المختلفة"[1]. ومن اللافت أن الحركة النسوية حركة تحارب العنصرية ضد المرأة، وتؤكد على أن "قمع الذكور للإناث له الأولوية على كل أنواع القمع، لأنه النموذج الذي تقوم على أساسه الأنواع الأخرى من القمع"[2]، رغم أن المرأة ليست مستجداً على البشرية؛ فالعنصرية غالباً تكون ضد عرق استجد التعرف عليه، كما فعل البيض مع السود عندما استجد عليهم وجودهم بعد جهلهم به، أو كما يفعل أصحاب الديانات المختلفة مع بعضهم عندما يدرك مجتمعٌ ما وجودَ الآخر ويجهل حقيقته. والعنصرية في حقيقتها تستبطن عداءً للمجهول، وهذا الذي يجعل فكرتي "الذكورية أو النسوية" فكرتين لافتتين، تفترض بدايةً تمييز الذكر على الأنثى، ومن ثَمَّ المطالبة بعدم التمييز. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الجهل العميق بالإنسان، مما أفرز لنا هذا الاتجاه الفكري الساعي لمطالبات وحقوق لا يتفق عليها أصحاب الاتجاه نفسه فضلا عن أن يتفق معهم غيرهم؛ وهذا لأنه يوجه أبصارَنا نحو بدهية وجودِ الذكرِ والأنثى واستحقاقهما للحياة، ثم يبحث عن طريقةٍ ومنهجٍ لتعايشهما معاً وكأنهما عدوان، أو غريبان في أحسن الأحوال. و"يعرف معجم (Hachette) النسوية بأنها: (منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن). أما معجم (ويبستر) فيعرفها على أنها: (النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وتسعى كحركةٍ سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها، وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة)"[3].

وقد ابتدأ الاتجاه النسوي كحراكٍ حقوقي، وانتهى إلى اتجاهٍ فلسفي له أسسه المميزة، إذ "مرتْ الحركة النسوية بمراحل تطورٍ مختلفة، فقد بدأت بأهدافٍ محددة، وانتهت بأهدافٍ أخرى مختلفة تماما، ففيما ركزتْ خطابَها في المرحلة الأولى على

---

(1) الفلسفة النسوية، الدكتور إبراهيم طلبه سلكها، صـــ١٢٩.

(2) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. ص٢٦.

(3) النسوية مفاهيم وقضايا، مية الرحبي، صـــ١٤. للاستزادة انظر: مفهوم النسوية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، أمل بنت ناصر الخريف، صـــ٣١-٣٦.

حقوق المرأة السياسية والاقتصادية والقانونية والمدنية التي حُرمتْ منها نتيجة الظلم الذي عانت منه وخاصة من الكنيسة؛ اتسع هذا الخطاب في المرحلة الثانية من الأربعينات وحتى مطلع السبعينات من القرن العشرين ليصل إلى حد المطالبة بالمساواة الكاملة بينها وبين الرجل. ومع نشوء الأمم المتحدة بدأتْ تدريجيا قضيةُ المرأة تأخذ أبعادا أخرى، وصلت لحد المطالبة بالاستغناء عن الرجل، واكتفاء النساء ببعضهن"[١]، وفي هذا دلالة كافية لإثارة الانتباه لاتجاه الحركة غير المستقر، والذي ما زال حتى اليوم يتبنى أفكاراً ويخلع أخرى؛ ذاك أنه يناقش بدهيات كان من المفترض أنها راسخةٌ وواضحةٌ كالشمس، ولكن البعد عن الوحي الإلهي والجهل جَنَيا على الإنسان ليقضي سنوات من عمره يناقش أساسيات العيش في ظلمة البعد عن هداية الوحي الإلهي، ولا أَدَلَّ على هذه الظلمة من تلك السنوات الطوال التي يقضيها أولئك في معرفة فرضية بسيطة، لم يتمكن حتى من ترقيتها لأن تكون معلومة؛ ولهذا لا نستغرب حين نرى الحركة النسوية وقد انقسمتْ "إلى أربعة أقسام: الحركة النسوية الليبرالية، الحركة النسوية الماركسية، الحركة النسوية الراديكالية، الحركة النسوية السحاقية"[٢]؛ فقد انقسمتْ حسب: أماكن نشوئها، ونشأة القائمين عليها، والأفكار التي تربوا في أحضانها، فهي فكرة بلا مرجعية ثابتة، وتتقوى باتجاهات فلسفية أخرى تَطْلُب عندها ما قد ينير لها أو يخفف عنها شيئاً من التيه، فقد "انتظمت النظريات النسوية ضمن تيارات فلسفية كالبراغماتية والنظرية النقدية والماركسية وما بعد البنيوية... والانتساب إلى هذا التيار أو ذاك لا يراد منه فعلٌ تصنيفي، بل غايته – كما جاء على لسان معظم الفيلسوفات – هو إعادة بناء النظرية الفلسفية"[٣]، وهذا بدوره يؤكد التخبط الذي يعيشه أتباع هذ الاتجاه.

ومما يجب التنبيه إليه أنه "لَمَّا كانت هذه الأفكار النسوية معرضةً للهجوم والرفض من قبل المجتمعات كافة، وليس فقط الإسلامية؛ كونها تقضي على خصوصيات الشعوب وعاداتها وأعرافها وتقاليدها ودياناتها: لجأ الفكر النسوي الغربي إلى تجنيد المؤسسة الدولية (الأمم المتحدة)؛ لتعكس هذا الفكر عبر قرارات واتفاقيات دولية تُتخذ بشأن المرأة، تُعبر عن مصالح الفكر النسوي الغربي من جهة، وتمنح

(١) الشذوذ الجنسي في الفكر الغربي وأثره على العالم العربي، د. نهى عدنان القاطرجي، صـــ١٥٦.

(٢) المرجع السابق، صـــ١٥٨. وانظر: النسوية مفاهيم وقضايا، مية الرحبي، صـــ٢٣.

(٣) الفلسفة السياسية النسوية سؤال السيادة والكونية في فكر سيلا بنحبيب، د. عزيزة الهلالي، صـــ٧.

الشرعية لها وتضمن تنفيذها من جهة أخرى"[١]، وهذا إنما يدل على عجز الحركة النسوية أولاً، وضعف قاعدتها الشعبية التي لم تُبنَ على أسسٍ متينة ثانياً. ولنا أن نتساءل: كيف لمثل هذا الاتجاه غير الثابت أن يكسب تأييدَ منظمةٍ مثل الأمم المتحدة؟!، ولعل السبب – إن أحسَنَّا الظن – يكمن في تبني الاتجاه النسويِ للمظلومية النسوية؛ مما جعل هيئة الأمم ترى – من جهة – أن هذه الحركة تكتسب مبررًا يجعلها تعادي به الهيئة إن لم تدعمها، ومن جهة أخرى ستكون هذه الحركة خادمةً لسياساتِ الهيئة عند الحاجة، فهي هيئة – كما هو معروف – تُظهر الاتجاهَ الإنساني والتعاطف مع المضطهدين أيا كانوا، بعيداً عن الأديان وأحكامها، ثم تستخدم هذه القضايا حسب احتياجات الدول المستفيدة، وقد "أبدتْ: الإدارة الأمريكية، بنسبةٍ أقل الحكومة البريطانية: اهتماماً مفاجئا بتأسيسها في العراق، انطلاقا من واشنطن ولندن، بعد أن أدركت في فترةِ التهيئة للغزو إمكانيةَ الاستفادةِ إعلامياً من هذا الصوت المهمش غير المسموع حتى ذلك الحين"[٢].

والمتتبع للنتاج النسوي يرى كيف يسيطر "على مشروع الحركة النسوية نزعةٌ مفرطة تصل إلى درجة الإيهام بأن وضع الرجل هو أحسن من وضعها في كل جوانب الحياة، وبأنها في صراع مع الرجل هي ضحيته، وتحتاج إلى دعمٍ من أجل خروجها منتصرة عليه"[٣]، وكيف يؤكد هذا الاتجاه على أن "تعريف حقوق المرأة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: (إن جميع الناس يولدون أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وإن لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات دون أي تمييز، بما في ذلك التمييز القائم على أساس الجنس)"[٤]، وأن هذا يدل على التأخر الكبير في إدراك العالم لموقع المرأة؛ إذ ما زال يسعى لمنحها أحقية الحصول على الحقوق الإنسانية. كما يؤكد هذا الاتجاه على أنَّ "هناك أسبابا أو عوامل عدة ساعدت على تكريس دونية المرأة، ومن بينها اعتمادها اقتصاديا على الرجل، وحالة الجهل التي كانت تعيشها، إلى جانب سيطرة الخرافة وأساليب الشعوذة على عقليتها، حيث استبطنتها مجموعةٌ من القيم والأفكار الذكورية، فاعتُبرتْ ملكاً للرجل، واختزل دورها في: المرأة الأم"[٥].

---

(١) الشذوذ الجنسي في الفكر الغربي وأثره على العالم العربي، د. نهى عدنان القاطرجي، صـــ١٦٤.

(٢) النسوية العربية رؤية نقدية، مجموعة من الكتاب، صـــ٣٢٢.

(٣) مشروع الحركة النسوية اليسارية بالمغرب، د. عبد الرحمن محمود العمراني، صـــ١٤٠.

(٤) معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجي، صـــ١٥٤.

(٥) الفلسفة والنسوية، مجموعة مؤلفين، صـــ٥١.

وفي هذا الصدد تؤكد الحركة النسوية على أن المرأة عاشت بطرق مختلفة متحركةً عبر التاريخ أكثر من الرجل، وإلا "لماذا توجد فلسفة نسوية ولا توجد فلسفة ذكورية؟"[١] فهي تتماهى وتتماشى بشكل أسرع وأكثر مرونة مع ظروف عصرها، مما جعلها محل تساؤل وتعجب واستفهام، بعكس الرجل الذي لم يتغير دوره كثيرا منذ فجر التاريخ، فهو الساعي لجلب الرزق فقط، ثم يبدأ من هنا دور المرأة، ففي عصرٍ لا يتاح لها سوى العمل لتدوير هذا الرزق إلى طعامٍ وملبسٍ وضيافةٍ وغيرها، وفي عصرٍ آخر يكون المطلوبُ منها مشاركةَ الرجل في جلب الرزق، وفي عصرٍ آخر لا يُنتظر منها سوى الإنجاب، ويتاح لها في عصرٍ ما التعلمُ والتعليم، فهي في حركة مستمرة بين العديد من الأدوار، مما يجعل رسم هويةٍ محددة لها ومطالبتها بالثبات عليها صعباً من جهة، ويؤكد خلافاً للرجل على دورها المحوري كما تراه الفلسفة النسوية من جهةٍ أخرى.

ومن الأمور التي يحاربها نسوية العصر: الأبوية والبطريركية بصفتهما صانعا قوالبَ المرأة التي تُسكَب فيها الأنثى لتخرج نسخة من أنثى غيرها ربما تحمل فكرا وهواياتٍ ومواهبَ وخبراتٍ مختلفة كليا عنها. فترى النسوية أن "الأبوية" مصطلح يشير "إلى سلطة الذكر المطلقة في العائلة، أبا كان أو زوجا أو أخا. وكذلك يشير هذا المصطلح سياسيا إلى حكومة مشكلة بأكملها من قِبَل الذكور، كذلك إلى هيمنة الرجال على الأنظمة الثقافية والاجتماعية"[٢]، أما "البطريركية" فهي "بنية اجتماعية وسايكولوجية متميزة تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع، وتُكَوِّن علاقةً هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني والذي يتعارض مع قيم المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان، نتج عن ظروفٍ تاريخية واجتماعية وثقافية وعبر سلسلة من المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية المترابطة فيما بينها، إذ ترتبط كل مرحلة منها بمرحلة انتقالية تسبقها حتى تصل إلى مرحلة النظام الأبوي الحديث"[٣]، و"لهذا تَعتبر الحركةُ النسوية أن خضوع المرأة للرجل غير مبرر، وأن هذا الخضوع غير مقدرٍ بيولوجيا ولا مبررٍ أخلاقيا، أو بالأحرى فهو خضوع اجتماعي وسياسي، وأن الرجال هم المستفيدون الوحيدون من هذا سواء ماديا واجتماعيا"[٤].

---

(١) المرجع السابق، صـــ٢٠٣.

(٢) معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجي، صـــ١١.

(٣) معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجي، صـــ٩٠.

(٤) الشذوذ الجنسي في الفكر الغربي وأثره على العالم العربي، د. نهى عدنان القاطرجي، صـــ١٦٦-١٦٧.

والذي يهمنا التأكيد عليه في هذا التمهيد هو أن النسوية – وفي سياق تطورها الذي لم يكتمل حتى اليوم – انتقلتْ من المطالبة بحقوق المرأة إلى كونها حركة تُعنى بالإنسان كله، وهذا تماشيا مع تطورها الذي بات يرفض أن تكون "آخر"، مؤكدةً على أنه يجمع "بين نفسية المرأة ونفسية العبد نقاط مشتركة، فكلاهما ميت اجتماعيا إذ فقدا كل علاقة لهما بأبويهما وأهاليهما السابقين، وكلاهما مقصي عن المجموعة وعن نظامها وعن الفضاء العمومي"[1]، كما يؤكد هذا الاتجاه الفلسفي على أن النسوية ليست "كما يخال البعض حركة للدفاع عن حقوق المرأة فحسب، فذلك توصيف ينطبق على نسوية القرن التاسع عشر، أما اليوم فالنسوية منظومة فكرية متكاملة، ترى الإنسان الفرد كائناً حراً مستقلاً بذاته، ومواطنا يتمتع بحقوقه كاملة بغض النظر عن جنسه ودينه وعرقه، هي منظومة تسعى لسعادة المجتمعات ورفاهها، وإلى الحق والعدل، لذا فهي تنطوي على رؤية سياسية اقتصادية اجتماعية وثقافية بديلة، وفي هذا الإطار فهي تسعى لرسم ثقافة إنسانية بديلة من الثقافة الذكورية التي كرست صورة دونية للمرأة، كنتاج للنظام البطركي (الأبوي)"[2]

إذا تبين هذا ففي ظني أن هذه الحركة هي أحوج ما تكون للنقد الخارجي البناء، وإن السؤال عن مكانة المرأة – الذي تقوم عليه هذه الحركة – هو سؤال يهم العالم بأسره، حتى توضع الأمور في نصابها الصحيح.

وهنا لنا أن نتساءل: ما هي الأسس التي يتفق عليها غالباً أكثر النسويين والنسويات؟؛ سعياً منا لفهم هذه الحركة، وتقييمها، ومعرفة المنطلقات التي يمكن البناء عليها عند النقد والتقويم وفق منهج أهل السنة والجماعة، ثم الاستفادة مما قد يستفاد منه في أطروحاتها، ورد ما اشتملت عليه من الباطل.

هذا ما سيجيب عليه المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

---

(1) الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية، وفاء الدريسي، صـــ١٧٦.

(2) النسوية مفاهيم وقضايا، مية الرحبي، صـــ٤٧٥.

المبحث الأول: الأسس الفلسفية للفكر النسوي

المطلب الأول: ماهية الأنثى بين المساواة وتفضيل المرأة على الرجل

شكلت ماهية الأنثى أساسً محورياً في الفلسفة النسوية، وبات التركيز على الأنسنة طريقاً لنفي الحقائق الثابتة حتى على مستوى الخلقة البشرية والتكوين البيولوجي، سواءً في الاتجاهات التي تقر بالفروق البيلوجية وانعكاساتها على الذكورة والأنوثة، أو الاتجاهات التي لا ترى لهذه الفروق أي انعكاس ينبني عليه شيء من الاختصاص في الأدوار الوظيفية للذكر والأنثى. ومن هنا وُجِدتْ الأصوات المنادية بالمساواة المطلقة، كما وُجِدتْ الأصوات المنادية بتفضيل المرأة على الرجل، وكلا الاتجاهين ينطلق من محورية الماهية الأنثوية كأساس فلسفي يقوم عليه هذا الخطاب، مؤكدين –في الحد الأدنى– على "أننا جميعاً كائنات إنسانية، ويجب أن نحصل جميعاً على حقوقٍ متساوية"[١].

١ –المساواة:

المساواة ليست اختراعاً نسوياً، فقد طالب به السود، وكذا الطبقات التي يضعها المجتمع في درجةٍ دنيا، فطالبوا بالمساواة قانونيا، ورأوا أن هذ هو مقتضى العدل، "وتقترن المساواة في التفكير الاغريقي بشكل وثيق مع الحرية، حرية التعبير والتفكير والتصرف"[٢]، والسؤال هنا: هل من العدل حقا أن تعطى المرأة –المختلفة بيولوجيا باتفاق الجميع عن الرجل، والمختلفة عنه فسيولوجيا برأي الأغلبية– ذات مساحات الرجل وحدوده؟ وهل الحقيقة أصلا تقتضي أن الرجل متميز عن المرأة تميز الغالب، وتتميز المرأة تميز المغلوب؟، وما هو المعيار في هذا؟ هذا ما أحاول إيضاحه هنا.

إن أكثر ما نسمع المطالبة به عند كل صاحب حق مهضوم: "المساواة". وبما أن النسوية تعتبر المرأة مهضومة الحقوق فإن أول ما تطالب به هو المساواة، مؤكدة ًعلى أن النسوية اليوم تُعَرف "بأنها: المساواة بين الجنسين. وربما ينبغي أن تكون النسوية أملا في مزيد من الحرية للجميع، ووعدا بمزيد من التحرر من قوى السَّوق والقهر والحرمان والشعور بالعار"[٣]، معتبرة "المساواة بين الجنسين: غياب أي تفرقة تمييزية بسبب الفارق المحض بين الذكر والأنثى في الطبيعة البيولوجية"[٤]. فالنسويات

---

(١) النسوية والمواطنة، أيمن بكر، وسمر الشيشكلي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.

(٢) الفلسفة والنسوية، مجموعة مؤلفين، صـــ٢٨٧.

(٣) هل أنا حرة؟، صـــ٣٠١، الهامش.

(٤) المرجع السابق، صـــ١٠.

يعتبرن التمييز بين الذكر والأنثى –القائم على الاختلافات الجسدية– محض ظلم أوقعه الرجل على المرأة لاستغلالها في خدمته وتسخيرها له، فـ"ما يطالبن به اليوم هو الاعتراف بهن ككائنات بنفس مرتبة الرجال، وليس بإخضاع الوجود للحياة، والرجل لحيوانيته"[١]، والأمر يبدأ عند بعض النسويات الساعيات لتأصيل المسألة من اللغة نفسها، فيقلن "كل ماهو غير مؤنث حقيقة فإنه بالضرورة اللغوية مذكر، والثقافة الغربية تحفظ للذكورة حقها في كل ماهو محايد أو تجريدي"[٢] ويعتبرن هذا بداية التمييز ضد الأنثى، ثم يعتبرن كما "صرح إنجلز أن عدم المساواة بين الجنسين ربما كان أول تضاد داخل الجنس البشري. فأول صراع طبقي ظهر في التاريخ يصادف تطور التناحر بين الزوج والزوجة"[٣]، فهو يرى بأن نظام العائلة الذي أدركناه تاريخياً هو عبارة عن تمييز ضد الأنثى. وقد سعى الكثير من أتباع الفكر النسوي لإثبات أن هذا النظام ليس فطريا، وليس ملزما، بل حصل خلال طفرة تاريخية معينة، بعد أن كانت الآلهة – في زعمهم – أنثى، وكانت الأنثى هي الأصل، بدلا من المركزية الذكورية الحالية، "وقد قال بولان دولابار في القرن السابع عشر، وهو مناضل نسوي غير مشهور: "يجب التشكيك بكل ما كتبه الرجال حول النساء لأنهم خصم وحكم في الوقت نفسه"[٤]. وفعلا قام الكثير من مناصري التيار النسوي بالنبش التاريخي في الآثار غير المقروءة، وقد تمددت هذه النظرية، ووجدت لها مستندات داعمة، ولكنها تظل غير مثبتة علميا، ومن الصعب إثباتها؛ لأنها تقوم على استشفاف آثار صامتة. وفي هذا السياق نجد صاحب كتاب "المرأة والألوهة المؤنثة" يرى أن "دراسة التاريخ بينت وجود علاقة تبادلية ما بين جنس الإله وسيطرة الجنس المقابل له على الأرض، كان لابد لما حصل من تبدل على الأرض أن يواكبه تغير وانزياح على مستوى المفاهيم والمعتقدات الدينية، وهي النقطة التي قادتني إلى الفرضية الأساسية في بحثي، وهي حدوث انقلاب ذكوري على المرأة قاد إلى السيطرة عليها وإزاحتها من المركز إلى الهامش، ما ترتب عليه نتائج مهمة رسمت مستقبل الحضارات"[٥]، ومن هنا نجد أنصار نظرية الانقلاب الذكوري يرون أن الأمر بدأ أو انتهى من الاعتقاد الديني، وذلك لشدة إدراكهم لأثر الدين في

---

(١) الجنس الآخر، جـ١، صـ٨٩.

(٢) المرأة واللغة. صـ٢٣.

(٣) مقالات في النسوية. صـ١٧.

(٤) الجنس الآخر، جـ١، صـ٢١.

(٥) المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين. صـ٢٢.

تشكيل الوعي الإنساني، وقد "استدلت مارلين ستون من خلال طرح السؤال الآتي: كيف كان حال النساء حين قُدست المرأة؟ وأجابت عنه مستشهدة بآراء العديد من علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ والاجتماع لتؤكد بأن كون المرأة كانت مقدسة في صورة الإلهة، فهذا يستدعي أن يكون للمرأة السيطرة على الأرض، كما حالنا اليوم مع ذكورية الإله، وقد يكون العكس، وهو أن مكانة المرأة الرفيعة عكست تقديس الإلهة الأنثى"[١]. وهنا نجد هذا الرأي يستند على الأحافير والتجسيمات الأنثوية التي يزعم أنها كانت مقدسة، إلا أن هذا لا يعني علميا تفضيل المرأة؛ لأنه قائم عند التحقيق على الخرافة وملء فراغات الجهل بما يخدم النظرية، حسب إقرار أصحاب النظرية نفسها؛ ولهذا لم تعتمد كل النسويات هذا الاتجاه، بل اعتمد كثير منهن على التأمل الفلسفي من جهة، والواقع العلمي – من جهة أخرى – والذي يقول بأن التشريح الجسماني أظهر اختلافات بين الجنسين جسديا ولكن لا يمكننا علميا تفضيل نوع على آخر بحسب هذه الاختلافات وإنما المساواة، وحينها "ستطلب المساواة التغيير. فقها جديدا، علاقة جديدة بين الحياة والقانون"[٢]، وليس عودة العصر الأمومي النقيض للعصر الذكوري، لأن تلك العودة مجرد انتقالٍ من ظلم لآخر. ومن هنا يؤكد هذا الاتجاه "أن الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة ليست هي العامل الحاسم في اللامساواة بين الجنسين، وإنما هناك افتراضات سابقة –تفرضها عاداتُ وتقاليدُ المجتمع– هي التي تحتم هذه اللامساواة"[٣]، وهذه العادات نشأت في غفلة من الجنسين، إذ بُنيت على مدار قرون، لتستيقظ المرأة ذات صباح مطالبة بحقها، ففي زمنٍ ما كانت "الفروق الطبيعية الموجودة في جنس الرجال بين رجل ورجل، لم تبطل المساواة بينهم، بل كانت هذه المساواة – رغم ذلك – بديهية وواضحة بذاتها لا تحتاج إلى نقاش: فلماذا كانت هذه الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة مبررا لانعدام المساواة؟"[٤]. وقد سعت النسويات للعثور على جوابٍ لهذا، ومازلن لم يتفقن على جواب، إلا أنهن يؤكدن على أنه و"بصرف النظر عن إبعادِ ضعفها الجسدي لها عن العمل الإنتاجي: فقد جعلها ضعفها الاجتماعي بوضوحٍ عبدةَ ذلك العمل الرئيسية"[٥]. وقد واجه هذا الاتجاه مقاومةٌ ممن لا يرى عبودية المرأة بزعم

---

(١) المرجع السابق. صـــ٤٧.

(٢) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٥١٠. بتصرف يسير.

(٣) جون لوك والمرأة، صـــ١٤١.

(٤) لمرجع السابق، صـــ١٤١.

(٥) مقالات في النسوية. صـــ٤٥.

أنها أبعدت بضعفها الجسدي عن الانتاج، مؤكدين على أن تكوينها الجسدي بكامل صفاته هو حقيقة عليها بناء حياتها وفقها، والتصالح معها، وليس محاربتها لها والتنكر لها، فقد "نبهت عالمة الاجتماع الأمريكية الدكتورة آليس روزي إلى أن الحركات النسوية ينبغي أن تتبنى الدعوة إلى المساواة في الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء في إطار طبيعة كل جنس ودوره في المجتمع وفي الحياة، بدلا من أن تدفع المرأة في طريق مليء بالتعاسة من خلال إنكارها للفوارق البيلوجية، إن هذه الحركات ترى أن قبول الفوارق البيولوجية يعني بالتبعية أن تقبل المرأة بالتبعية –من وجهة نظرهم– بدورها التقليدي كخادمة في المنزل، وأن تضحي بمستقبلها المهني، وأن تقبل القيم التي تبقيها أدنى من منزلة الرجل"[١].

وإذا كان هذا الاتجاه يقر بالفوارق البيولوجية ففي المقابل يتطرف اتجاه ثالث فيواجه ضعف البنية الأنثوية بالإنكار، و"تؤكد هذه الحجة أن الخدمة العسكرية دائما ما تتطلب قوة بدنية وتحملاً لا تطيقه النساء كافة، وهذه حجة قديمة، لكنها ثابتة، مستخدمة في أماكن فرص توظيف أخرى للحد من عمل الإناث. ومع هذا، أظهرت الدراسات أن بإمكان النساء زيادة القوة والتحمل بمزيد من التدريب"[٢]، فهن يعتقدن أن التجربة أثبتت مجاراة المرأة للرجل جسديا، وأن "تشابه النساء التجريبي مع الرجال هو أساس المطالبة بمعاملتهن معاملة متساوية"[٣]. والحقيقة أن هذه الدعوى مجرد مصادرة لم يستطع متبنوها إثباتها من خلال الدراسات العلمية في كل ما وقفنا عليه من دراسات نسوية.

من ناحية أخرى وكما اتفقت النسوية على ضرورة المساواة واختلفت في معناها، اختلفت أيضا في تنفيذها، فـ"قيمة المساواة تعني للنسوية الليبرالية أن يتساوى الجميع في الفرص، وأن يأخذ المجتمع بعين الاعتبار رغباتِ ومصالحَ وقدراتِ وتفوقَ جميع المواطنين بغض النظر عن طبيعة جنسهم، وأن لا توضع العقباتُ والقيودُ أمام أي فرد أو جماعة تحول دون منحه أو منحها مراكز معتبرة أو دون تدريبه أو تدريبها على الأعمال التي تؤهله لمراكز معتبرة وذات قيمة"[٤]، أما عند الاتجاه الماركسي، فـ"تَعتبر الماركسياتُ المساواةَ قيمةً كبرى وهامة، وترى أن المساواة التامة لا تتحقق إلا في ظل

---

(١) الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية. صـــ٢١.

(٢) النسوية وحقوق المرأة حول العالم. صـــ١٧٢.

(٣) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٤٥٣.

(٤) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٢٤٦.

نظام اشتراكي يلغي الملكية الخاصة التي تعوق حرية الفرد الحقيقية، ويلغي نظام الطبقات، وبذلك ينتهي اغتراب الإنسان"[١].

هذا من حيث التنظير، أما على صعيد التطبيق فقد تأخر جدا عن بداية المطالبة بالمساواة، وذلك لعدة عوامل، أولها ما عبر عنه نصير النسوية "جون استوارت مل": في أن "المشكلة الحقيقية هي أن هذا المبدأ يستند إلى المشاعر والعواطف والانفعالات أكثر من اعتماده على العقل والمنطق . ومن هنا كانت قضية تحرير المرأة تشبه – من هذه الزاوية – قضية تحرير الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية التي وَجَد المدافعون عنها صعوبةً بالغة في إقناع الناس بالعقل على تغيير مشاعرهم المتأصلة في أعماق نفوسهم، بل هناك أسباب كثيرة تجعل المشاعر المتصلة بقضية المرأة أشد غورا ، وأعمق جذورا ، من كل المشاعر التي تتجمع حول الأنظمة والعادات والتقاليد القديمة وتحميها"[٢]. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل واجهتْ النساءَ مشاكلٌ حتى مع الفلاسفة والعلماء أنفسهم، فـ "لم تتمكن النساء في بداية القرن العشرين من انتزاع إقرار عام بتساوي استعداداتهن العقلية والأخلاقية مع استعدادات الرجال، وذلك بسبب ما لحق صورة المرأة من تشوه نتج عن آراء فرويد، الذي ادعى أن لدى النساء إحساسا ضئيلا بالعدالة بسبب تفوق الرجال عليهن جنسيا"[٣]، ومن هنا وجدت النسويات أنفسهن بين محاولة إصلاح المجتمع والقانون، ومحاولة منافسة كبار الفلاسفة غير المقتنعين بندية المرأة. ودفاعًا عن ضعف المرأة في المجال العلمي والفلسفي، ظهرت الكثير من الآراء، بدءا من القول بأن "البيئة التي عاشت فيها المرأة طوال التاريخ، وما يشكلها من عوامل وظروف اجتماعية وسياسية، ودينية واقتصادية.. إلخ، هي التي منعت المرأة من التفلسف، وليس بسببِ نقصٍ أو خللٍ في قدرتها العقلية!... وعندما خضع الرجل لطغاة عبر التاريخ حرموا عليه التفلسف –على نحو ما فعل الإمبراطور الروماني (نيرون) وغيره– اختفت الفلسفة أيضا حتى بالنسبة للرجال"[٤]. وسعت النسويات لإثبات "أنه هكذا كانت بداية التفلسف عند الفلاسفة الأول من الرجال بسيطة وساذجة"[٥]. وقاومن فكرة تفضيل الذكر على الأنثى، وسعين لإثبات بطلانها، مؤكدين

---

(١) لمرجع السابق. صـــ٢٤٧.

(٢) أقدم لك: الحركة النسوية. صـــ٩

(٣) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ١٥٨.

(٤) نساء فلاسفة، صـــ١٥.

(٥) لمرجع السابق، صـــ٢٥٥.

على أنه لا فروق "جوهرية بين نفس الرجل ونفس المرأة، فجوهر النفس هو: قدرتها على التفكير العقلي، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة"[١]. وقد سجلت الكثيرات من النسويات المآخذ على عمالقة الفكر الذين أدهشوهن بنظرتهم الدونية للمرأة، فتقول إحداهن: "وكثيرا ما ينتهي كنط إلى أن الرجل والمرأة بحكم الطبيعة غير متساوين، لكنه يذهب إلى تبرير هذه اللامساواة تبريرا غريبا لا يليق بعملاق الفكر الحديث يقول: إن هذه اللامساواة يبررها أنها متبادلة؛ ففي مقابل نقص القوة السياسية عند المرأة فإن الزوجة تمتلك في يديها السيادة المنزلية، كما أن الرجل يحب السلام المنزلي وهو على استعداد للخضوع لسطوتها، وهكذا ينتهي فيلسوف النقد إلى أن يقبل آراء عصره بلا نقد أو تمحيص"[٢]، و يصل اليأس ببعضهن إلى أنها "ما دامت فكرة اللامساواة بين الجنسين متأصلة الجذور في مشاعر الناس، فإن قوة الحجة ضدها يزيدها رسوخا بدلا من أن يزعزعها؛ ذلك لأن الناس عندما يقبلون فكرةً ما بناء على حجج معينة، فإن دحض هذه الحجج يهز أسس الاعتقاد. أما عندما يقبلون الفكرة بناء على المشاعر وحدها، فإنه كلما قويت الحجة ضد هذه المشاعر؛ زاد اقتناع أنصارها بأن مشاعرهم لابد أن تكون أعمق غورا من أن تصل إليها هذه الحجج"[٣].

وقد سعت النسويات وأنصارهن في ترسيخ المساواة إلى إثبات النشاط الفكري للمرأة منذ الأزل، ساعيات لمعالجة الفكرة الدونية عن المرأة من جذورها، بتغيير المعلومات السائدة، بما يرينه من حقائق تاريخية تثبت نشاط المرأة الفكري عندما أتيحت لها الفرصة، مشيرين إلى أن الهدف "هو أن نثبت عن طريق تقديم أمثلة من حقل الدراسات الفلسفية –وهو أعلى درجات التجريد– أنه كان للمرأة اسهامات في هذا الحقل المجرد، وبالتالي أن عقلها لا يقل في قدرته عن عقل الرجل، وإنما الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، وسيطرة الرجل وطغيانه هي التي منعت هذه القدرة من الظهور"[٤]. وقد ووجِهْنَ بمن يقول بأنه من الصعب انتقال المساواة إلى حيز التطبيق، فهي مجرد نظريات مستبعد تماسكها وقيامها، فكان رأيهن: أن كل طرق العيش الاجتماعية كانت نظريةً في وقتٍ ما، "وإذا قيل أن مبدأ المساواة بين الجنسين لا يقوم إلا على النظرية فحسب، فلابد لنا أن نتذكر أن المبدأ المضاد لا يقوم أيضا إلا على

---

(١) لمرجع السابق، صـــ٢١٣. بتصرف يسير.

(٢) كانط والمرأة، صـــ٨٥.

(٣) استعباد النساء، صـــ٣٧-٣٨.

(٤) نساء فلاسفة، صـــ٢٥٦.

النظرَة وحدها"[١]، وهنا يرى بولان دولا بار "أن الرجال بما أنهم الأقوى فقد منحوا جنسهم امتيازات في كل شيء، وأن النساء يقبلن هذه التبعية بحكم العادة. لم ينلن فرصهن أبدا؛ لا الحرية ولا التعلم. وبالتالي لا يمكن الحكم عليهن تبعا لما قمن به في الماضي. لا شيء يشير إلى أنهن أدنى من الرجل. ويظهر التشريح اختلافات، لكن أيا منها لا يُشَكِّل ميزة للرجل"[٢]، وإذا كانت هذه القوة الذكورية مترسخة على مدار قرون؛ فمن الصعب القضاء عليها في سنوات قليلة، ومن "غير المسموح للنساء بأن يعرفن تماما كيف ستبدو المساواة بين الجنسين، لأنهن لم يعشنها قط"[٣]. وهنا ترى بعض النسويات بـــ " أن المساواة بين الجنسين مصممة مفهوميا في القانون بحيث لا تتحقق أبدا"[٤]؛ لأنها قائمة على قانون المساواة السائد، والذي فيه "يَفْتَرِضُ قانونُ المساواة السائد أن المجتمع متساو في الأصل جوهرياً. وهو لا يعطي النساء قانونياً أكثر مما يملكن اجتماعياً في الأصل"[٥] فهذا الافتراض –كما يرى الاتجاه النسوي– عقبةٌ في طريق المساواة.

وقد سعت الحركة النسوية لحلول أخرى "في الآونة الأخيرة، فقدمت ما بعد الحداثة للحركة النسوية طرقا لتصور ورطتها المتواصلة الراغبة في نشدان المساواة داخل المؤسسات والخطابات ذاتها التي حاولت النسويات أن يتحدينها ويعرينها"[٦]، فانتقل العمل إلى داخل المؤسسات المشرعنة لدونية المرأة، سعيا لتفكيك الخطاب السائد حول المرأة، والذي قد يوهم أحيانا بأنها مساوية للرجل، بينما هو حقيقةً يرسخ دونيتها، من خلال تثبيت الأفكار السائدة حول المرأة وتعزيزها، مشيرين إلى أن من "أهم العوائق التي تواجه الفتيات والنساء حول العالم هي الأدوار المرتكزة على النوع والتوقعات، وبسبب القدرات الإنجابية للنساء؛ يجب أن تكون الأدوار الاجتماعية للمرأة متوافقة مع الحمل والرضاعة"[٧]، لافتين النظر إلى كيف تركز المؤسسات الإعلامية مثلاً على صورة المرأة المنشغلة ببيتها وجمالها وأولادها، بعيدا عن ما يدور حولها في العالم

---

(١) استعباد النساء، صـــ٦٩.

(٢) الجنس الآخر، جـــ١، صـــ١٤٤.

(٣) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٤٩٦.

(٤) لمرجع السابق. صـــ٤٨٥.

(٥) لمرجع السابق. صـــ٤٨٦.

(٦) أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية. صـــ١٠١.

(٧) النسوية وحقوق المرأة حول العالم. صـــ٨٠.

الخارجي، وعندما تنجح امرأة في التغلب على هذه الصورة النمطية، وتتفوق عليها، فإنه ما يزال أمامها عائق لم تتمكن المساواة حتى من مواجهته لأنها عاجزة حتى عن إثباته، وهو ما يسمى بالسقف الزجاجي، و "هو استعارة قوية للحواجز غير المرئية وإن كانت فعلية لصعود النساء في أماكن العمل"(١). وقد ولَّد هذا ردودَ فعلٍ عنيفةٍ لدى الكثير من أنصار الحركة النسوية، فظهرت اتجاهاتٌ متطرفة تحارب حتى تكوين المرأة البيولوجي، وتنتقد أصول المعايير التي تفرق بين الجنسين، فنرى مثلا رائدة النسوية في القرن العشرين "سيمون دي بوفار" وغيرها: يستخففن بدور المرأة كأم، ويعتبرن هذا عاملا لاضمحلالها، "وهنالك فكرة رددتها كل من سيمون دي بوفار وفايرستون وفرايدن وميليت، مؤداها أن وظائف الحمل والولادة وتنشئة الأطفال ما هي إلا نشاطات حيوانية تجعل النساء أسيراتِ الممارساتِ الجنسية وبعيداتٍ عن عالم الثقافة...إن هذه الفكرة ليست جديدة...وقد تبدت في آراء ويلتسونكرافت، ومل، وتايلر، الذين أكدوا أن النساء مُنعن من تطوير إمكاناتهن كمخلوقات عاقلة بسبب أنواعٍ من القهر والتمييز، وشكلت البيولوجيا عبئا ثقيلا عليهن"(٢). وهذا الاتجاه عندما عجز عن إثبات مساواة الجنسين رغم اختلافاتهما الظاهرة؛ لجأ لمحاربة الفروق نفسها، في تصرفٍ أبعد ما يكون عن العلم، واتجهت أخرياتٌ إلى المطالبة بالمساواة في حرية التصرفات الجنسية، بعد أن كان الطلب على المساواة في الحقوق والواجبات، فقد "انتقدتْ المفكراتُ الليبراليات المعاييرَ المعاصرة للجنس لأنها تقمع النساء ولا تحقق مساواتهن مع الرجال في المجال الخاص وتنتهك مبادئ العدالة والحرية. وأشرن إلى أن النساء أقل حرية جنسية من الرجال لأنهن لا يستطعن أن يعبرن تعبيرا حرا عن رغباتهن الجنسية بسبب القوانين التي لا تسمح لهن بمنع الحمل والإجهاض، وبسبب عوائق اقتصادية واجتماعية وتربوية وسياسية، وبسبب معايير مزدوجة"(٣).

ثم نرى اتجاهاً آخر أشد تطرفاً يطالب بتفكيك معنى الأسرة أصلاً، وإعادة بنائه بما يناسب تطلعات النساء المطالبات بالمساواة، "تقول سوزان أوكين النسوية السياسية الأمريكية في كتابها (النساء في الفكر النسائي): (إن المساواة بين النساء والرجال لا يمكن الوصول إليها في أي نظرية سياسية دون إعادة بناء الأسرة، فإذا كان هدفنا هو

(١) النسوية وحقوق المرأة حول العالم. صـــ١١٦.

(٢) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٢٢٧.

(٣) لمرجع السابق. صـــ٢٣٦.

المجتمع الديمقراطي، أو نظرية ديمقراطية شاملة، فإنه يتعين علينا الاعتراف بأن أي شيء غير الأسرة الديمقراطية التي تقوم على المساواة الكاملة والاعتماد المتبادل داخليا بين أعضائها، أي شيء خلاف هذه الأسرة سوف يكون عائقاً قوياً للغاية في سبيل تحقيق هذا الهدف"[1]، وهي هنا تتخذ هذا الموقف دون دراسة له بجميع أبعاده، فهي تؤكد على تجريب جميع الخيارات حتى يتم اختيار الصورة المناسبة لتحقيق مكانة المرأة، إذ ربما نحن اليوم –كما تزعم– مجرد موجة تجريبية لتركيب أسرة بشكل معين، وبالتالي لا ينبغي التململ من السعي للانتقال إلى تجربة أخرى.

وهكذا فنحن إذا أخذنا بعين الاعتبار رسوخ مفهوم الأسرة في الأديان والفلسفات وقواسمها المشتركة على مدار التاريخ الإنساني ظهر لنا –بمجرد التأمل– ما بهذا الطرح من شتات يدل على التنكر للمنهج العلمي ذاته، فضلا عن الدين والفطرة الإنسانية.

ومن أشد التيارات النسوية تطرفا، النسوية السيداوية[2] "والخنوثة السيداوية تعني القضاء على تمايز الأدوار الطبيعية بين الجنسين، عبر دمج أدوار الرجل والمرأة في جميع مجالات الحياة، مفصولة عن أي أحكام دينية أو أعراف مجتمعية باسم المساواة والشراكة؛ لضمان عدم التمييز ضد المرأة وكبح القوامة الطبيعية للرجل، أو ما يسمى بالهيمنة الذكورية والنظام الأبوي"[3]، وهنا نرى ما بهذه الفكرة من إقصاء لكامل المعرفة البشرية المتراكمة على جميع الأصعدة، بل إنها تستلزم التنكر للجنس الظاهر للعيان أيضا وإنكاره، فهل هذا ما تريده المرأة حقا؟ أم أنها مجرد آراء شخصية لمفكرين تابعين لتيار معين؟، جوابا على هذا نجد تيارا آخر من النسويات هو أقرب للاعتدال، يطالبن بالمساواة في ظل اعترافهن باختلافهن وما يتطلبه هذا من اعتبارات، مطالبات بحقهن في العيش وفق قدرهن الجنسي، غير معترضات عليه، ولا ناقمات منه، ولكن ناقمات من إلغاء اعتباراته، فيُقَدرن العمل المنزلي؛ كجزء من دورهن في الحياة، ولا يرين فيه إضرارا بطلب المساواة، فتقول النرويجية لين ستالسبيرج: "وعندما لا يسمى مثل هذا: عملا، فمن الصعب أيضا أن أقول بصوت عال إن التعب أصابنا من جراء العمل في المنزل. من الذي يمكنه أن يقول إنه سئم من أولاده؟ فهذا

---

(1) الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية. صـــ١٠-١١.

(2) راجع في مفهوم النسوية السيداوية: الفصل الثاني من كتاب "الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية" صـــ ١٧ – ٦١.

(3) الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية. صـــ٢٠.

شيء لا يلقى استحسانا من أحد. عندما لا نسمي ذلك عملا فلأنه عمل لا مرئي وغير باد للعيان سواء في السياسة أو الحوارات"[١]. وتتساءل عن ما تسميه ثقافة النساء، أين غابت –رغم أهميتها– وكيف تم الاستخفاف بها قائلة: "ماهي ثقافة النساء؟ ماذا حل بالثقافة عندما تضع العمل بالأجر في المقام الأول؟ من المهم طرح كل هذا للنقاش، ولكنه موضوع أكبر مما يمكنني الخوض فيه. يمكننا أن نحتفظ بالسؤالين في عقلنا الباطن ونضايق أنفسنا قليلا عندما نفكر في العمل المنزلي وكيف نتحدث عنه اليوم"[٢]، ثم تعود للمنتقدين لأدوار المرأة التقليدية، متهمة إياهم بالأنانية وقصر النظر، وأن "أولئك الذين ينتقدون الأعمال المنزلية الروتينية هم أشخاص يستفيدون من نتيجة العمل فقط، وليس لديهم الرؤية الكاملة عن الجهد الذي يبذل ليتم تنظيم هذا العمل. وعلاوة على ذلك فإن تلك الأعمال تتم مناقشتها غالبا في سياق النقد، وفي نفس الوقت هي التي تجعلنا نقرر زيادةَ أو تخفيض ساعات العمل"[٣]. فهي ترى أنه عندما لا تؤخذ واجباتُ المرأة التقليدية بعين الاعتبار؛ فإنه يزيد الحمل والضغط بشكل ظالم على المرأة، وتقول بأنه "من الصعب تحقيق المساواة على المستوى العملي كما نُص عليها نظريا. وهذا لا يعني أننا لا نناضل من أجل الفوز بالمزيد منها، ولكن لابد من أن نفهم ما الذي نريده من المساواة، وما الذي نريد أن نساوي بينه. إن نقد السلطة الاقتصادية يرتبط بالنضال من أجل حقوق المرأة"[٤]؛ فكأنها تريد الاهتمام بعمل المرأة الذي يمولها ويدعم وجودها خارج المنزل، غير غافلين عن واجباتها المنزلية التي تفوق واجبات الرجل وقدرته على تدبيرها؛ إذ ما تزال اختصاصًا أنثويًا، من المهم الحفاظ عليه، ومن الخطأ جعله كل شيء، فمن حق المرأة الوجود خارج وداخل المنزل، ثم تتساءل: "هل الموقف مأساوي بالقدر الذي وصفته فرجينيا عندما كتبت: نحن النساء يعتصرنا خياران: العزلة في المنزل بما في ذلك من قهر اقتصادي واعتماد على دخل أزواجنا من جهة، وجشع الحياة المهنية بما فيها من أنانية ومتطلباتِ كفاءةٍ ونماءٍ من جهة أخرى. فهل هذا الوضع الذي كنا نحلم به؟"[٥] فهل حقا على المرأة أن تختار أحد الطريقين، إما العمل وإما المنزل، وتتحمل تبعات هذا الاختيار، وكأن الدمج بين الخيارين إنما هو طلب

---

(١) هل أنا حرة؟، صـــ١٥٧.

(٢) لمرجع السابق صـــ١٥٧.

(٣) لمرجع السابق، صـــ١٥٩.

(٤) لمرجع السابق، صـــ٢٤٠.

(٥) لمرجع السابق، صـــ٣٢٢.

لجمع النقيضين؟ ذاك أن المرأة عندما تعمل تفتقد المراعاة التي تحتاجها كأنثى مُعرَّضةً لعوامل الإنجاب وغيرها، وعندما تبقى في المنزل فإنها تفقد استقلالها الاقتصادي الذي يقويها معنويا، وتفقد العديدَ من المزايا الأخرى.

لقد أكدت الحركة النسوية في سعيها للمساواة على خصوصية الاستبداد الواقع على المرأة؛ وذلك أنه "قد يتوخى الكادح ذبح الطبقة الحاكمة؛ وقد يحلم يهودي أو أسود متعصبان بالحصول على سر القنبلة الذرية وصنع عالم يهودي أو أسود بأكمله؛ أما المرأة فهي لا تستطيع إبادة الذكور حتى في أحلامها. فما يربطها بقامعها لا يشبه أي رباط آخر. والزوجان وحدة أساس يتمسك طرفاها أحدهما بالآخر: ومن المستحيل شطر المجتمع حسب الجنس. هذا ما يميز المرأة بشكل أساسي: إنها الآخر وسط كُلٍّ يكون طرفاه ضروريين لبعضهما"[١]، فالمرأة لها وضع مختلف من بين كل المتعرضين للاستبداد، "فالحاجة البيولوجية –الرغبة الجنسية والرغبة بالذرية– التي تجعل الذكر تابعا للأنثى لم تحرر المرأة اجتماعيا. وكذلك تَجْمع السيدَ في علاقته بالعبد حاجةٌ اقتصادية متبادلة لا تحرر العبد. لأن السيد في علاقته بالعبد لا يطرح حاجته للآخر، إنه على العكس يملك السلطة لإشباع هذه الحاجة ولا يعلنها، وبالمقابل فالعبد المحتاج يكظم حاجته للسيد أملا أو خوفا، وتعمل ضرورة الاحتياج دائما –وإن كانت متساوية بين الاثنين– لصالح القامع ضد المقموع، وهذا ما يفسر البطء الذي تمت عليه عملية تحرير الطبقة العمالية"[٢]، ومن هنا تم ربط التيار النسوي بالحالة السياسية، وأصبح رفع الاستبداد سياسيا مقصدًا نسويًا، لأن التيار النسوي يرى في رفع الاستبداد أيا كان مساعدة في رفع الاستبداد عنه؛ "فالاستبداد السياسي يمثل قمة السلم في الاستبداد، والذي ينبغي محاربته حتى يتحرر الإنسان بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، ومن هنا كان قاسم أمين ونظيرة زين الدين أكثر وعيا بدور الاستبداد السياسي في تدني وانحطاط وضعية المرأة العربية"[٣]. وهنا يؤكد الاتجاه النسوي أنه وبالعودة لجذور الاستبداد فقد "نجح الرجل في استعباد المرأة، لكنه بذلك جردها مما كان يجعله يرغب في امتلاكها... لم تعد الزوجة موضوعا شهوانيا، فهي إما محتقرة أكثر مما يجب، أو محترمة أكثر مما يجب، أو رتيبة"[٤]. ولما بات الاستبداد هو الصفة المميزة لعلاقة

---

(١) الجنس الآخر، جـ١، صـ١٩.

(٢) المرجع السابق، جـ١، صـ١٩-٢٠.

(٣) المرأة في الفكر العربي الحديث، د. أحمد محمد سالم، صـ٣٥.

(٤) الجنس الآخر، جـ١، صـ٢٣٥.

الرجل بالمرأة اختل مفهوم المساواة؛ ولهذا يوجد من الرجال من يؤكد على "أن النساء مساويات للرجال وأنه ليس لديهن ما يطالبن به، وفي الوقت نفسه أن النساء لا يمكنهن مطلقا أن يكن مساويات للرجل وأن مطالبهن عبث"(١).

وفي حديث لكاتبٍ سوري –يرى فكرة المساواة مجرد عبث، رغم أنه من المطالبين بحقوق المرأة–، يقول: "يوحي سياق القول باغتباط السعداوي بأن قضية المرأة صارت علما يدرس في الجامعات، وهو اغتباط يشي بسطحية موقفها وهشاشته، إن لم نقل باسترجالها من خلال قبولها بأن تصير قضية المرأة موضوعا علميا، وقضية موضوعية يقررها الرجال والنساء المذكرات؛ إذ ليس في الجامعات علم مقابل يتناول قضية الرجل؛ لأن قضيته محسومة، وزمام العلم في يده، وكذلك زمام الأدب والفن والدين والفلسفة واللغة والسياسة والسلطة"(٢). ويرى بعضهم أن من ظلم المرأة لنفسها أن تترك هذا التيار يتحدث باسمها دون أن تتدخل في تصحيح تصورات بعض المنتسبين له البعيدة عن الموضوعية، فقد "ورثت مجتمعاتنا تركة ثقيلة من التحيزات الذكورية ضد النساء، وأورثت تلك التركة نساء خانعات، أو خائفات، وكثير منهن فاقدات للثقة في أنفسهن، وغير عارفات بمعايير المسؤولية المجتمعية؛ لأنهن أُبعدن عنها، وعُزلن وراء حدودٍ حالت من دون انخراطهن في إثراء تلك المسؤولية"(٣). وفي هذا الصدد يلاحظ "دونالدسون وهو مختص بتاريخ المرأة، أن تعاريف "الرجل هو إنسان مذكر، والمرأة هي إنسان مؤنث" كانت قد بُترت بشكل غير عادل؛ خصوصا لدى المحللين النفسيين، يُعَرف الرجل بأنه إنسان والمرأة بأنها أنثى فقط، وكلما تصرفت كإنسان يقال إنها تقلد الذكر"(٤). وهنا تؤكد بعض النسويات على أن الاستبداد ناشئ من فكرة الزواج ومحورية الأسرة، وأن عدم المساواة نابع "من أن الرجل يكتمل فعليا بعمله أو نشاطه، بينما بالنسبة للزوجة ليس للحرية سوى وجه سلبي... حتى وإن كان الزوج حسن النية وكانت المرأة الشابة أُمًّا فما زالت أعباء المنزل تثقل كاهلها كما في الماضي"(٥) و "في الحقيقة رغم أن الذكور والإناث ليسوا أبدا ضحايا بعضهم البعض لكنهم جميعا ضحايا النوع، وبنفس الشكل يخضع الزوجان معا لاستبداد مؤسسة لم

---

(١) المرجع السابق، جـ١، صـ٢٥.

(٢) فخ المساواة تأنيث الرجل وتذكير المرأة، جاد الكريم الجباعي، صـ٣٦٨.

(٣) سيرة العنقاء من مركزية الذكورة إلى ما بعد مركزية الأنوثة، د. أسماء معيكل، صـ١٣.

(٤) الجنس الآخر، جـ١، صـ٧٣.

(٥) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢٦١.

يبتدعاها"[١]، وبالتالي فإن "حلقة تفضيل الرجل على المرأة هي المفقودة والمرفوضة في التأويلات الجديدة، وهي المغيب المشترك بين المدافعين عن المساواة الفعلية والمناهضين لها"[٢]. وهنا يتساءل الاتجاه النسوي لماذا "يسمح وجود طائفة من الفتيات الساقطات بمعاملة المرأة المحترمة باحترام كامل. العاهرة هي كبش فداء، يفرغ الرجل لديها دناءته ويتنكر لها، سواء كان وضعها قانونيا تحت رقابة الشرطة أو إن كانت تعمل في الخفاء فهي منبوذة على كل حال"[٣]، ولماذا يُثبت السياق التاريخي وضعاً للمرأة مختلفاً تماماً عن ما يجب لها ولا تغضب منه النساء سابقا؟ أو إن افترضنا أنهن سبق أن غضبن وسممن أزواجهن كما في الأسطورة الرومانية[٤]، فلماذا لم ينتصرن حتى الآن؟ ليجيب بأن السبب عائد إلى كون المرأة "لا تفكر... إيجابيا بأن الحقيقة هي غير ما يزعمه الرجال، بل تقبل بالأحرى أن الحقيقة ليست موجودة"[٥].

وبهذا يتضح أن المساواة إحدى الأسس التي يقوم عليها الفكر النسوي والمرتكز على البحث في ماهية الأنوثة، إلا أن هذا الأساس يعاني الكثير من الضبابية والارتباك على مستوى التنظير والتطبيق.

٢-تفضيل المرأة على الرجل:

لما كان الوضع القائم –من وجهة نظر الفكر النسوي– هو تفضيل الذكر على الأنثى؛ فقد اتجهت بعض التيارات النسوية إلى تفضيل الأنثى، و"كان باخوفن أول من طرح نظرية المجتمع الأمومي، وأن أصل نظام العائلة كان أموميا، وذلك في كتابه الشهير (حق الأم)، وهو بمثابة تحقيق في الطابع الديني والقانوني للنظام الأمومي في العالم القديم، في العام (١٨٦١)"[٦] ثم أتت الأبحاث متوالية باحثة عن تدعيم لهذه النظرية، التي وجدت في الآثار القديمة ما قد يدعمها –من وجهة نظر النسوية–، يقول ريتشارد ن. فراي: "على الرغم من قلة المصادر، فقد اكتشف علماء الآثار في آسيا الوسطى صورا نسائية على التماثيل التي كانت تعبد في ذلك الوقت، وعلى العملات أيضا، وهذا

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢٦٢.

(٢) باحثات: النساء في الخطاب العربي المعاصر، صـ١٠٨.

(٣) الجنس الآخر، جـ٢، صـ٣٤٤.

(٤) انظر: الفيلسوف المسيحي والمرأة، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، صـ٢٩-٣١.

(٥) الجنس الآخر، جـ٢، صـ٣٩٩.

(٦) هندسة الهيمنة على النساء، د. ميادة كيالي، صـ٣٢-٣٣.

ما يجعلنا نستنتج المكانة العالية لنساء الطبقة الراقية على الأقل آنذاك"[١]؛ إذ في العصر الذكوري تكاد تختفي مثل هذه الظاهرة، وتكون أغلبية –إن لم تكن كل– التماثيل وصور العملات لذكورٍ بارزين، و"تقول هذه النظرية في جوهرها بأن المجتمع في عصور ما قبل التاريخ كان مجتمعا أموميا بالأساس، وكان اهتمام الناس الأساسي وقتها منصبا على البحث عن التحرر من الفاقة؛ ففي القبيلة أو العشيرة أو العائلة الكبيرة كان الشغل الشاغل للرجال متمثلا في الصيد، وجمع الطعام من أجل استمرار الحياة. ولما كان من هؤلاء الرجال من لقي حتفه في أثناء الصيد أو الحوادث، فقد ألقيت مسؤوليةُ استمرار العائلة على عاتق النساء اللاتي كن ينجبن قادة المستقبل للجماعة، وكذلك تَحَمُّل مسؤولية القيادة في غياب الرجال"[٢]، ويظهر هنا أثر الاقتصاد في تشكيل الوضع الاجتماعي، فعندما كانت الضرورة تقتضي غياب الرجل الطويل لأجل توفير ضروريات الحياة؛ أتيحت الفرصة للمرأة لتتبوأ مكانتها الخاصة، ولتكون محل احترامٍ وتقديرِ الأطراف التي تحت سيطرتها بسبب غياب الذكر، سواء من الأطفال، أو حتى بنات جنسها اللاتي لم يجدن غير أنفسهن متقابلات مسؤولات عن تدبير المعيشة، ومن ثم محل تقدير الرجل نفسه؛ إذ كانت خير خلف له على ممتلكاته وأولاده. كما شَكَّلَتْ –وفق الفلسفة النسوية– قدرةُ المرأة الخارقة على الإنجاب سببا آخر لتعظيم شأنها، إذ "في ذلك العصر، حظيت المرأة بالتقدير والاحترام؛ لأنها شكلت للإنسان سرا لم يدر ماهيته، ورأى كيف تخرج الحياة منها، وكيف تحتضن صغيرها وتمتلك المقدرة على إطعامه من جسدها، وشعرت المرأة كذلك باختلافها، وأحست بقوة الحياة تنبض في أحشائها، وتخرج من رحمها، فقاربت تجربة الخلق، واقتربت من سر الآلهة، بل هي من بحث عن الآلهة، ووضع تصوراته عنها رسوما في الكهوف التي شكلت أول معابد الإنسان ومواطن خلوته وتواصله مع العالم الماورائي"[٣].

وهنا نلحظ كيف أن الاتجاه النسوي اتخذ من الجهل وسيلةً لتكوين صورة المرأة المعظمة، إذ عندما جهِلَ الإنسانُ أسبابَ خلقه اعتقدها معجزة أنثوية، ثم جُعل للأنثى الفضلُ في استيطان العائلة وثباتها، "في رحلة اكتشاف تاريخ المرأة في حضارات الرافدين القديمة، وتحديدا في العصر الحجري الحديث، إذ وجد ما يؤكد أن الفضل في

---

(١) المرأة في العصور الوسطى الإسلامية، صـــ٧٧.

(٢) المرجع السابق، صـــ٧٩.

(٣) هندسة الهيمنة على النساء، د. ميادة كيالي، صـــ١٢.

اكتشاف الزراعة وتأمين أول عوامل استقرار الجماعات البشرية المتواجدة هناك كان يعود إليها بامتياز... ونظرا لكون الطفل يحتاج لمدة طويلة قبل أن يتمكن من السير بمفرده، والاستقلال وحده بجني غذائه، فإن تبعية الأطفال لأمهم لا جدال فيها، فهي نابعة من شعور البقاء الغريزي"[١] فبقيت الملاك الحارس لأطفالها، والعقل المدبر لحياة الرجل، "ويلفت ويل ديورانت إلى أن الرجل كان من جملة ما استأنسته المرأة من حيوان، في إشارة للرجل الصياد المتنقل وغير المستقر، إذ يرى أن معظم التقدم الذي أصاب الحياة الاقتصادية في المجتمع البدائي كان يعزى للمرأة، فبينما الرجل ظل متمسكا بأساليبه القديمة من صيد ورعي، كانت هي تطور الزراعة وتباشر تلك الفنون المنزلية التي أصبحت في ما بعد أهم ما يعرف الإنسان من صناعات"[٢]، وبقي الحال كذلك حتى تطورت المعرفة قليلا، وعندها "اكتشف الذكر دوره في الإنجاب، واكتشف –من خلال تدجين الحيوانات– دور الاغتصاب في الهيمنة على المرأة، ومن هنا نشأت بذور الانقلاب الذكوري على مجتمع الأمومة، وبدأت مرحلة إخضاع المرأة"[٣]، فكأن الرجل وجد في هذه المعرفة خَلاصه من الامتنان المتواصل لوجود المرأة، ليجد بأنه ند لها، قادر على موازاتها في العطاء، وأنها لا تستغني عنه، كما ظل لزمن يشعر بعجزه عن الاستغناء عنها، ثم بدأ بتغيير المعادلة لصالحه، وهنا –وفقا للفكر النسوي– "يتعين ملاحظة أن هذه العملية لم تتم إلا بالاستناد إلى ركيزتين أساسيتين: أولهما سحب الغطاء الديني الذي يحمي مكانة المرأة على الأرض، من خلال طردها من بانثيون الآلهة، لتتحول إلى إلهة ثانوية، ثم لتسقط عنها كل الألوهة مع تفريد الإله وذكوريته، والأمر الثاني هو سحب بساط المؤسسة الدينية من تحتها، وإرساء تمثيل الإله بالملك، ومن ثم تكون التشريعات والقوانين بأمر الملك بناء على التكليف الإلهي"[٤]، فلم يغفل الرجل –كما تقول النسوية– عن ما صنعه الدين للمرأة من تمكين، فبدأ بتغيير المسار الديني لخدمته، فكان الدين هو المفتاح في هذا المعرفة، والتي أصبحت في صالح الرجل. وفي مسار آخر " ومع اكتشاف المعادن وتصنيع الأدوات المستخدمة في الصيد والزراعة، استطاع الرجل السيطرة على العملية الإنتاجية"[٥]؛ فأضيف للرجل قوة

---

(١) المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين. صـــ٢١. بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق،. صـــ٤٩.

(٣) هندسة الهيمنة على النساء، د. ميادة كيالي، صـــ٨٥.

(٤) هندسة الهيمنة على النساء، د. ميادة كيالي، صـــ٨٦.

(٥) المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين. صـــ٢٠٠.

الإنتاج التي ملَّكته زمام الاقتصاد، فعاد منتصرا، مستشعرا لقوته، ليقوم بترتيب الأمور حسب المعطيات الجديدة، كما يريد هو فقط. ثم "تشكلت دونية المرأة في الوعي الذكوري، أيضا، من خلال الموازاة بينها وبين الأشياء الجميلة الممتعة في الحياة"[١] فأعجبه –كما تقول النسوية– اعتبارها ملكًا له، ممتثلة لرغباته، بعد انتصاره المعرفي والاقتصادي. لقد "كان الرجل يخاف من المرأة، فعمد إلى إنكار إنسانيتها وخفض مكانتها؛ لإخضاعها لإرادته ورغبته، ثم انتهى به الأمر إلى تذكيرها، رمزيا، بالمساواة الصورية أمام القانون، ومنحها حقوقًا لا تمس امتيازاته ولا تحد من سيادته، ولا سيما حق العمل وحق التعلم"[٢] فهذا الجزء المنقوص من المعرفة لم يقض على مخاوف الرجل، ولم ينهي امتيازات المرأة، فمازالت المسألة غير محسومة لذات الأسباب المعرفية والاقتصادية، و"ذهب فرويد إلى أن ثمة خوف جوهري من المرأة يعانيه الرجل؛ وعلل هذا الخوف بكون المرأة غير الرجل، وبكونها لا تبدو مفهومة، يلفها السر، غريبة، ومن ثم عدوة"[٣]؛ فالإنسان عدو ما يجهل، خاصة إذا كان ما يجهله قد تعلق في الذاكرة التاريخية بأمور سبق أن كانت ممسكة بزمام معيشته، فما زال الرجل –كما يؤكد النسويون– يرى في المرأة المسؤول عن إقصائه عن قيادة الحياة بسبب قدراتها الخارقة، "وهكذا نستطيع أن نؤكد، في اطمئنان وثقة، أن المعرفة التي يستطيع الرجال تحصيلها عن النساء، حتى فيما يتصل بالماضي والحاضر ودون أن نتعرض لما يكون عليه الحال في المستقبل، هي معرفة سطحية وناقصة تماما، وأنها ستكون على هذا النحو باستمرار "[٤].

وتعتقد النسويات أن نظرية المعرفة وإنتاجها منذ قرون خاضعة للسيرة الذكورية ماضية على ما يشتهيه الذكر، ولهذا رفض المذهب النسوي النظرياتِ المعرفية التقليدية، محاولًا تأسيس ابستملوجيا نسوية قائمة على: "١–إن الابستملوجيا التقليدية قامت على أساس مبدأ مركزية العقل، واعتَبرت النساءُ –بموجب هذا المبدأ– غير مؤهلات عقليا لممارسة التفكير المجرد والموضوعي الذي تتطلبه الابستملوجيا، وأُقصين نتيجة ذلك عن مجال المعرفة، لهذا ينبغي تعديل هذا المبدأ أو إزاحته. ٢–إن المعرفة التي ينتجها الذكور هي انعكاس لممارسات العلم السائدة، وهي ممارسات تقوم

---

(١) النسوية في الثقافة والإبداع. صـــ٣٢.

(٢) فخ المساواة تأنيث الرجل وتذكير المرأة، جاد الكريم الجباعي، صـــ٣٤٨.

(٣) المرجع السابق، صـــ٣٧٦–٣٧٧.

(٤) استعباد النساء، صـــ٧٥.

على أسس منهجية ذكورية ينبغي تعديلها. ٣-إن سيرورة إنتاج المعرفة ينبغي أن تخضع للشروط الاجتماعية التي تشكل توسطا بين الذات العارفة وموضوع المعرفة. ٤-إن الجنس مقولة اجتماعية وليس مجرد مقولة بيلوجية، وإن جنس الذات العارفة هو جزء لا يتجزأ من منظورها الاجتماعي، ويترتب على ذلك أن ممارسات إنتاج الذكور للمعرفة لا يمكن فهم شروطها ومقتضياتها إلا ضمن كونها ممارساتٍ لفئةٍ اجتماعيةٍ لها منظورها الخاص"[١] فلم تغفل الفلسفة النسوية عن أهمية الدور المعرفي لتحريك أوراقها، وبدأت بتأسيس المنهج العلمي الذي يخدم طموحاتها وأهدافها، "ويلتقي الموقف الابستملوجي النسوي الاشتراكي مع الفكر النسوي الراديكالي في تصوره بأن النساء قادرات على أن يقدمن فكرة أكثر معقولية عن العالم من الفكرة التي يقدمها الرجال المنتمون إلى الطبقة الرأسمالية أو العاملة. أما أسباب ذلك فلا يرجعنها إلى قدرات خاصة بالنساء -كما فعلت المفكرات الراديكاليات- وإنما إلى الوضع الاجتماعي أو الطبقي الخاص بالنساء الذي يجعلهن -حسب تصور الاشتراكيات- أقدر على فهم حقيقة العالم، ذلك أن السياسة الاقتصادية في المجتمعات المعاصرة أدت إلى المعاناة من الاضطهاد والقهر وبشكل خاص عند النساء، وهذا الوضع يجعل نظرتهن إلى الحقيقة أقل تحيزا وأوسع شمولا من تلك النظرة التي قدمتها العلوم البرجوازية أو الهيمنة الفكرية الذكورية اليسارية"[٢]، فبدأت بتحديد منطلقاتها الخاصة لتحديد موقفها من الحياة عموما، وذلك كأول استقلال لها عن الرجل، وهو الاستقلال الفكري، مستغلة الخصائص الأنثوية التي ربما لم تُفَعلها في صالحها مسبقا كما كان ينبغي، "تقول جين ألبرت: (إن الثقافة النسوية تقوم على أساسِ أن كل ما هو أفضل وأقوى موجود في المرأة. ونحن حين نعرف أنفسنا بأننا نساء فإن الصفات التي تقفز إلى الأمام هي صفات مشروع الأمومة، كالحدس والخلق والتبني والحرص على مشاعر الآخرين والقدرة على التجاوب عاطفيا معهم)"[٣]، فهي ترى أن المرأة متفوقة على الرجل في هذه المجالات، والتي عليها أن تنقلها لحيز التأثير لصالح البشرية، "ونظرا لأن النساء كن ضحايا تمييز غير عادل ولم يتح لذوات الكفاءة العالية منهن شغل الأعمال والمراكز المتميزة، لأن الكثيرات منهن لم يتلقين التدريب الذي يؤهلهن لممارسة تلك

(١) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٨٩.

(٢) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ١١٦.

(٣) المرجع السابق، صـــ٢٤٢.

الأعمال، فقد طالبت المفكرات الليبراليات بتفضيل النساء على الرجال بالمعاملة كخطوة أولية ومؤقتة لتحقيق العدالة وإيجاد توازن في سوق العمل بين الجنسين"[١]؛ وذلك لإعادة التوازن إلى سوق العمل بعد أن اختل توازنه ومال؛ لغياب التأثير الكافي الأنثوي، "إلا أن النسوية الراديكالية مازالت تسير في عكس الاتجاه، وتقع في مطب المركزية المعكوسة بسبب نظرتها إلى المرأة كأنثى ذات ماهية ثابتة متعالية على الذكر"[٢]، فهذا الاتجاه لا يرى ضرورة تحقيق التوازن، بل يرى أولوية تقديم المرأة على الرجل، لأنها الأكثر كفاءة وجدارة، كردة فعل على الاتجاه الذكوري، وباستخدام نفس أساليبه، والتي هي بعيدة عن النظرة العلمية المدروسة. وهنا يؤكد الاتجاه النسوي على أن "التلقي الأنثوي يهب العلم انفتاحا على الإنصات للطبيعة والاستجابة فيما يشبه الحوار أو التشارك مع الطبيعة"[٣] وذلك أن لدى الأنثى خاصية متميزة في استجلاب المعرفة وتلقيها، فقد "بات من المتعين على العلم في منتصف عمره أن يسترد الأنثوية من منطقة الظلال المعتمة، ويسلط عليها ضوء الوعي، ويدمجها بذاته، ويكتمل بها، ويسترشد بخصائصها: الشعور، والتلقي، والذاتية، والتعددية، والرعاية، والتعاون، والحدس، والترابطية"[٤]، فالأنثوية ليست عائقا أمام العلم، بل لها تقنيات وخصائص مختلفة في الوصول إلى العلم، والتي يحتاج العالم اليوم إلى تفعيلها للحصول على أكبر استفادة علمية.

لقد رفضت النسويات التهمة الموجهة إليهن بالتفاهة على مدار التاريخ، مؤكدين على "أن دونية النساء ليست سبب تفاهتهن التاريخية؛ لكن تفاهتهن التاريخية هي التي كرست دونيتهن"[٥]، فقلبن التهمة على العوامل التاريخية نفسها، بدءًا من النقل المنقوص للتاريخ، إلى الاضطهاد المضاعف على العقلية الأنثوية –كما يرى الفكر النسوي– وقد انتشرت "الدراسات المعاصرة التي ترى لو أن المرأة كانت إلى جانب الرجل مشاركة له في كل شيء؛ لكان العالم اليوم أقل عنفا مما هو عليه. ففي الوقت الذي انشغلت فيه النساء بالتفنن في صناعة أقنعة الجمال، كان الرجال منشغلين بصناعة أقنعة الحروب،

---

(١) المرجع السابق، صـــ٢٥١.

(٢) المرجع السابق، صـــ٣٣٩.

(٣) أنثوية العلم، صـــ١٥٢.

(٤) المرجع السابق، صـــ٤٧٠.

(٥) الجنس الآخر، جـــ١، صـــ١٧٦.

أقنعة الحروب، الأمر الذي نتج عنه تلك الصراعات الدامية منذ القدم، وحتى اللحظة الراهنة"[١].

والمحصلة أن تيارا عريضا في الفلسفة النسوية يرى ضرورة عودة النساء إلى مراكز القيادة، ليعود السلام والجمال اللذان قضى عليها الذكر في مدة حكمه، وأثبت فشله الذريع في الحفاظ على هذا العالم آمنا؛ الأمر الذي يؤكد **أن "تفضيل المرأة على الرجل" أحد أهم الأسس التي يستند إليها الفكر النسوي اليوم.**

المطلب الثاني: الحرية:

الحرية هي من الشعارات التي كثرت الحركات المطالبة بها منذ الثورة الفرنسية وعصر الأنوار، وبما أن النسوية نشأت في ظل عصر التنوير، وهي أساسًا في لبها – كما يصورها الاتجاه النسوي– حرب الاستعباد، فإن أهم مطالبها: الحرية. والحرية كما تراها الفلسفة النسوية "هي: إمكانية الفرد على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة من دون أية ضغوطات خارجية"[٢]، وقد اعتبرت النسويات الحريةَ شرطًا وأساسًا تنهض عليه ثورتهن، فقد "صرح مل بأن المشكلة الرئيسية عند النساء، وبخاصة المتزوجات، تكمن في تنكر الرجال لحريتهن واختياراتهن العقلانية التي تعتبر أساسية في إدارة شؤون حياتهن واستقلالهن كأفراد، ففي حالة زواج المرأة يُنكَر استقلالُها ومساواتها، وهو أمر يتعارض مع العقيدة الليبرالية التي تقتضي أن تكون المرأة حرة ومستقلة ومساوية للرجل، ويرى مل أن التقاليد واستعمال القوة هما السبب في خضوع النساء"[٣]، فهو يرى أحقية النساء بالحرية، ويشخص أسباب فقدانها، أولا بالقوة التي تفوق عليهن بها الرجل، ومن ثم العادات والتقاليد. "إن قيمة الحرية –وفقا لما تراه النسوية الليبرالية– تقتضي أن يتاح لكل فرد الاستقلال، وحرية الإرادة، بحيث يستطيع أن يتخذ قراراته بنفسه، وأن تتاح له حرية التعبير والحرية السياسية التي تمكن كل فرد من التحرر من تدخل الآخرين بشؤونه الخاصة"[٤]، فمطالب الاتجاه النسوي متسقة مع التيار الليبرالي الذي يرى في حريتهن امتدادا لمبادئه، وهن يستندن عليه لدعم الجانب الفكري لديهن، والذي لم يستقر بعد، فالنسوية فكرة مازالت تتنازعها التيارات السياسية المختلفة، فبالنسبة للاتجاه النسوي الماركسي "من الواضح أن مجال

---

(١) سيرة العنقاء من مركزية الذكورة إلى ما بعد مركزية الأنوثة، د. أسماء معيكل، صـــ٤٩.

(٢) معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجي، صـــ١٤٥.

(٣) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ١٠٢.

(٤) المرجع السابق، صـــ٢٤٦.

الحرية في الماركسية هو المجال العام، لذلك لم تؤكد الماركسيات الحريات المدنية والحرية الفكرية النقية كما فعلت الليبراليات، وإنما أكدت أن المجال العام هو الذي يمنح الفرصة للأفراد لكي يعملوا معا وبحرية ويتابعوا مصالحهم المشتركة"[١]، فهي في قوانين الماركسية: حرية خاضعة لمصلحة المجتمع التي ارتآها بعض أفراده. "ولأنه لم يكن بمقدور المرأة أن تكون حرة في تصرفاتها في التاريخ البشري كله، بسبب كونها كائنا يعيش بغيره لا بذاته، أو مرآة عاكسة لحياة الرجل، تتحرك بإرادته وحده؛ فإنه لم يتح لها المجال الإبداعي لممارسة وعيها الخاص وقيمها الإنسانية الثقافية الذاتية بطريقة مستقلة متحررة كما أتيح المجال للرجل؛ فكان أن أبدعت المرأة إبداعا محدودا، تنفست فيه لغة الإبداع الذكوري وقيمه الأبوية"[٢]، فلم تعش المرأة –كما ترى الفلسفة النسوية– حياةً تمتلك فيها زمام حياتها كما تطالب، ولهذا مازالت بنظر الرجل وحتى بعض النساء محل الريبة في قدرتها على قيادة نفسها وحياتها، بل ظهرت بعض التجارب الفاشلة لنساء تحررن وخسرن، وظهرت صورٌ لنساء تحررن ونجحن، ولكن تم تشويهها بالزعم بأنها تفتقد السعادة الحقيقية عندما افتقدت سيطرة الرجل على حياتها، وتم الربط بين سعادة المرأة وخضوعها لرجلٍ ما، يرعاها ويدير شؤونها. "وغالبا ما جاءت الحرية في الكتابة النسوية منتجة من خلال الأزمات العاطفية في الحب؛ حيث كانت المرأة تشعر بأنها كيان مستلب اجتماعيا في تجربة الزواج بالذات، لذلك مارست البطلات الحب في الكتابة بطرقهن الثائرة"[٣]، فكان الحب هو الشيء الأول الذي لمست فيه المرأة عبوديتها، إذ قهَرَها عجزُها عن الحب، أو حرمانُها من الحب عندما تحب، وهذا أمر لم تتمكن القيود المفروضة على المرأة من بلوغه والسيطرة عليه، فـ"الشابة تخاطر بالارتباط مدى حياتها برجل لا تعرفه جنسيا، بينما يتعلق مصيرها الجنسي أساسا بشخصية شريكها، هذا هو التناقض الذي يستنكره منطقيا ليون بلوم في كتابه حول الزواج"[٤]؛ لذا كان هذا الأمر هو أول ما استماتت الفلسفة النسوية بالدفاع عن حقها في الحرية بالاختيار فيه. وقد "حدد النقد النسوي خصوصية الكتابة النسوية في عدة نواح أهمها: تحديد مادة المرأة الأدبية من خلال عوالمها الداخلية وتجاربها في الحمل والولادة والرضاعة والتربية، وتحقيب الموروث الأنثوي الإبداعي، وخصخصة

---

(١) المرجع السابق، صـــ٢٤٧.

(٢) النسوية في الثقافة والإبداع. صـــ٦٥.

(٣) المرجع السابق، صـــ٧٦.

(٤) الجنس الآخر، جـــ٢، صـــ٢٠٥.

أبرز سمات لغة الأنثى في الكتابة"[١]، فهي لم تخجل من حياتها عندما سنحت لها الفرصة للحديث عن ذاتها، ولكن لاحقا بعد أن رأت ردود الفعل على نتاجها الأدبي ربما ازداد وعيها بما ينقص حياتها من الاتساع الذي يحظى به الرجل، والذي يسهل عليه الحرية بعكسها، وهنا يؤكد الفكر النسوي أنه "لا شك في أن أسباب ضعف إبداع المرأة –عبر التاريخ البشري كله– يعزى إلى الهيمنة الذكورية، على أساس أن مساحة الحرية التي أعطيت للمرأة في الكتابة كانت محدودة جدا، وأحيانا معدومة"[٢]، ورغم هذا فقد كتبت وتعلمت واستنتجت تأخرها، وأسباب هذا التأخر المتعلقة بتعدي الرجل على حياتها وروحها. وقد تأخر جدا استيعاب الرجل لقدرات المرأة وإمكاناتها، وظل حتى وقت قريب يشكك بقدراتها، ولا يحملها على محمل الجد، حتى لدى كبار الفلاسفة المنظرين للحرية والمساواة، فنجد على سبيل المثال: "جون لوك عندما يتحدث عن الحكومة الأبوية وينقدها، فإنه نادرا ما يذكر سيطرة الزوج على زوجته داخل الأسرة. وذلك لأنه لا يجد ذلك مناسبا. ولهذا يكتفي بأن يقول إنه لا يوجد الحق لرجل واحد أيا ما كان، أن يسيطر على غيره دون موافقة أو رضى هذا الغير. غير أن لوك افترض أن ذلك لا يعني أيضا أنه لا يوجد الحق لرجل واحدٍ أيا ما كان أن يسيطر على امرأة أو يتحكم فيها. بل على العكس فقد افترض إمكان ذلك؛ لأنه كان يفترض أن الرجال سوف يواصلون السيطرة على النساء في الميدان السياسي كما هي الحال في ميدان الأسرة. فليس ثمة حاجة إلى السؤال عن سلطة الزوج على زوجته"[٣]. فهذا جون لوك وهو من أكبر منظري الحرية والمساواة في الفلسفة الغربية، لم يلتفت للأنثى في هذا وكأنها موجود من الطبقة الثانية، أو غير موجودٍ إنسانيًا، إلا "أن استسلام النساء وخضوعهن لا يعني القبول والرضا طواعية فهناك عدد كبير من النساء لا يقبلن هذا الوضع، وعندما أبيح للمرأة أن تعبر عن مشاعرها بالكتابة، سَجَّل عددٌ متزايد منهن احتجاجهن على وضعهن الاجتماعي الراهن"[٤]. وفي هذا الصدد "يعتقد مل أنه مازال لتأثير النساء قيمة كبيرة في سمتين من أبرز سمات الحياة الأوروبية الحديثة هما: نفورها من الحرب، واتجاهها نحو الأعمال الخيرية، وهما صفتان ممتازتان، وكثيرا ما كان لهما تأثير قوي في الرأي العام، لا سيما إذا ما صدرا عن شخصية نسائية تتمتع

---

(١) النسوية في الثقافة والإبداع. صـــ١١١.

(٢) النسوية في الثقافة والإبداع. صـــ١٩٠.

(٣) جون لوك والمرأة، صـــ٦٧.

(٤) استعباد النساء، صـــ١٣.

بالاستقلال والحرية، قادرة على إلقاء الدروس حول هذه الأمور في جمع من الناس"[١]، فبحسب مل لم تكن المرأة سلبية تجاه الفرص التي ربما لم تتح لها بقدر ما سعت هي لتحقيقها، رغم ما تعرضت له من كبت لحريتها على مدار قرون، وترى النسوية أنه "لم يكن السبب أو المبرر الذي يساق في تلك الأيام هو عدم صلاحية النساء، بل مصلحة المجتمع، وهي عبارة يقصد بها في الواقع مصلحة الرجال!"[٢]؛ إذ في ذلك الوقت وحتى وقت قريب كانت المرأة بمنزلة الغائب، حتى بدأن يلتفتن لأهمية التركيز على الحرية كأساس للفلسفة النسوية، ومن هنا بدأن بالانتماء للحزب النسوي كملاذ لتحقيق احتياجهن، وارتأين أنه "على النساء الاقتناع بأن عليهن إنجاز تحررهن بأنفسهن، وهو سيقوم على أساس عملهن، والإخلاص للحزب، والاحترام الذاتي، والشخصية، والموقف الحاسم إزاء كل ما قد يعمل ضد كرامتهن. وسوف يمارس الحزب سيطرة كاملة داخل هذه المحاولة"[٣]، ثم بعد فترة من الحماسة وخفوت الشرارة الأولى، وتحقيق بعض مطالبهن، بدأن يتساءلن "وتحرير المرأة كما يسمونه.. من أي شيء سيحررونني؟ وإلى أين سيأخذونني؟ وهل حصلت على التحرر الآن؟ أهذا هو المجتمع المثالي الذي كان مستهدفا؟ أم وأب يعملان بدوام كامل بينما يبقى الأطفال في روضة الأطفال من ثماني إلى تسع ساعات؟ أم أن المستهدف كان شيئا مختلفا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هو؟"[٤]، فهل كانت الحرية تعني زيادة الإنتاج الخارجي وإهمال الإنتاج الداخلي المنزلي؟ هل الحرية التي تطالب بها الفلسفة النسوية سطحية للحد الذي يجعلها لا تعترف إلا بمظاهر قد تكون وبالًا على المرأة، فهي تفرض عليها قيودا أخرى باسم الحرية تلزمها بالعمل الشاق، والشتات على جميع الأصعدة؟؛ إذ "النساء يتمزقن بين حاجاتهن للاستقلال والعمل من ناحية، ورعاية أطفالهن من ناحية أخرى فيصيبهن الإنهاك"[٥]، وعندما اعتبرت المرأة الاستقلال المادي طريقها للحرية؛ ظهرت أمامها عقبة الجمع بين المنزل والعائلة والعمل أولًا، وثانيًا: افتقدت حريتها بالتزامها بسلك وظيفي أهم ما به تحقيق مصلحتها الاقتصادية التي قد تكون ضرورية، متجاهلاً رغباتها الأخرى واحتياجاتها، "فكل من النساء والرجال يختارون معظم وظائفهم دون

---

(١) المرجع السابق، صـــ٣٣.

(٢) استعباد النساء، صـــ١١٩-١٢٠.

(٣) النساء وإعادة خلق السياسات في بلدان جنوب أفريقيا. صـــ٨٤.

(٤) هل أنا حرة؟، صـــ١٣-١٤.

(٥) المرجع السابق، صـــ٢٢.

أن يأخذوا في اعتبارهم لا الحرية ولا تحقيق الذات"[١]، فكأن الإنسان عامة –وخاصةً المرأة– انتقل من عبوديةٍ إلى أخرى. تقول "فلوتارود: إن للمرأة الحق في اختيار حياتها الخاصة. في الماضي كان الوالد وغيره من الذكور هم من يختارون لها، أما الآن فالدولة هي التي تختار لها"[٢]، وبالتالي فقد أصبحت المرأة –كما تقول الفلسفة النسوية– داخل مسارات تحددها المؤسسات الدولية، والأنظمة الحديثة، كبديل عن سلطة الرجل.

وحول مبدأ الحرية يرى الفكر النسوي بأن "تحرير المرأة هو أن تكون حياتنا في اتساق على المستويين الفردي والعام. إن تحرير المرأة يعني تضامنا دوليا مع كل نساء العالم. فقد حان الوقت كي نأخذ جانب الضعفاء، وكي نجعل من فكرة أن كل البشر لهم نفس القيمة: فكرة ممكنة. إن تحرير المرأة يعني أن نكفل لها الحد الأدنى للمعيشة، وأن يعيش النساء والأطفال والرجال سواسية. إن تحرير المرأة هو أن نملك الخيار الحقيقي، ونسيطر على الحياة اليومية، ونقلل من مأزق ضيق الوقت، وأن نعيش مستمتعين بالحياة أكثر باعتبارنا نعيش في أفضل البلدان"[٣]. وإذا كان المجتمع البشري –كما يقول النسويات– "مضاد للطبيعة؛ لا يخضع لوجود الطبيعة بشكل سلبي، إنه يعيد أخذها لحسابه"[٤]، فإن المرأة قد تكون –برأي بوفار– أقل قدرة على معاكسة الطبيعة من الرجل، فـ"حظها السيء هو أنها كُرِّستْ بيولوجيا لتكرار الحياة، بينما لا تحمل الحياة بذاتها في نظرها أسباب وجودها، وأن هذه الأسباب أهم من الحياة نفسها"[٥]، فهي تشعر وكأنها مجرد أداة لتوليد الحياة للآخرين، أما هي فلا حياة لها خارج حياة واحتياجات الآخر، "إنها لا تفعل شيئا، إنها تديم الحاضر فقط؛ وليس لديها الانطباع باكتساب شيء إيجابي ولكن بمكافحة الشر دون توقف. وهو صراع يتجدد كل يوم"[٦]، تبدأ حياتها بزواجها، وتنتهي أيضا بهذا الزواج، إن "التقاط زوج هو فن قائم بحد ذاته، والاحتفاظ به هو مهنة. تستوجب براعة كبيرة"[٧]، فهي تحافظ على بيتها، وعلى زوجها وعلى

---

(١) هل أنا حرة؟، صـ١١٢.

(٢) المرجع السابق، صـ٢١٥.

(٣) المرجع السابق، صـ٣٢٨.

(٤) الجنس الآخر، جـ١، صـ٧٥.

(٥) المرجع السابق، جـ١، صـ٨٨.

(٦) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢١٣.

(٧) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢٤٤.

أولادها، و "يسمح العمل المنزلي بالفعل للمرأة بالهروب اللامحدود بعيدا عن ذاتها"[١]، لكنها في الحقيقة تفقد حريتها –كما تقول بوفار– تحت فكرة نسيان نفسها تحت مظلة استبداد الزوج "والأسوأ أن تفانيها نفسه يبدو لحوحا؛ ينقلب في نظر الزوج إلى استبداد يحاول التملص منه؛ ومع ذلك هو الذي يفرضه على المرأة كمبررها الأعلى والوحيد؛ فعندما يتزوجها يرغمها على أن تهبه نفسها بكاملها؛ لا يقبل الالتزام المتبادل أي منحها نفس الهدية"[٢].

وعلى الصعيد المالي ترى بوفار أنه وإن كان النساء قد وَجَدن في الاستقلال الاقتصادي منقذاً لهن، إلا أن "المرأة التي تتحرر من الرجل اقتصاديا لا يجعلها ذلك في وضع معنوي واجتماعي ونفسي مماثل لوضعه"[٣]، فعادت كما كانت، وعليه فإن من أهم ما ينبغي التأكيد عليه –وفق الفلسفة النسوية– هو أن ما تطلبه المرأة يكمن في الاستقرار الاجتماعي والنفسي، الذي يمنحها حريتها ويعود إلى شعورها المطمئن بمكانتها المعتبرة.

وإذا كانت الحرية هي الأساس الذي ينبغي التركيز عليه فإن مما يجب التنبه له "أن ثمة خطرا جسيما يرتسم في حياة المرأة الحديثة، فقد يكون عالم الحريم انحسر من الواقع، وما عاد له ذكر، غير أنه استقام في الخيال مدعوما بالأعراف والعادات، وذلك هو الحريم غير المرئي الذي تكاد تكون حدوده أشد وضوحا من الحريم الواقعي"[٤]، فهي مازالت بحاجة للحرية كي تساهم في تصحيح المفاهيم الثقافية؛ وذلك لأنه على الصعيد الثقافي مازال المجتمع يحتقر إنتاجها، "وهكذا خلال كل النظام القديم كان الميدان الثقافي أكثر مجالٍ استطاعت النساء دخوله كي يثبتن أنفسهن. مع ذلك لم تبلغ أي منهن القمة التي بلغها دانتي أو شكسبير؛ ويمكن تفسير هذا الأمر بضآلة وضعهن بشكل عام"[٥]، وبالتالي إنه لمن الظلم منح المرأة أضيق الفرص للنجاح، ثم لومها على تأخرها، "وذلك لأن سلب المرأة حريتها هو أكبر مخالف لقوانين نموها العقلي والأدبي"[٦]، وفي هذا الصدد "يرد قاسم أمين على كلام التوجهات التي ترى أن طبيعة

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢١٧.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، صـ٢٥٩.

(٣) المرجع السابق، جـ٢، صـ٤٧٥.

(٤) سيرة العنقاء من مركزية الذكورة إلى ما بعد مركزية الأنوثة، د. أسماء معيكل، صـ٢٤.

(٥) الجنس الآخر، جـ١، صـ١٤١.

(٦) المرأة في الفكر العربي الحديث، د. أحمد محمد سالم، صـ١٨٢.

المرأة أحط من طبيعة الرجل، ويذهب بأنه لا يصح الحكم على المرأة إلا بعد أن تملك المرأة من حريتها ما يملك الرجل، وبعد أن تشتغل بتثقيف عقلها مدة من الزمن تساوي المدة التي قضاها الرجل في تربية ملكاته العقلية والأدبية"[١].

وإذا كانت المرأة اليوم لا زالت حبيسة دارها "وتحتجز فيها زوجها الذي يمثل بالنسبة لها المجموعة البشرية، والطفل الذي يعطي صورة المستقبل. ويصبح البيت مركز العالم وحقيقتها الوحيدة"[٢] فإن مما ينبغي التأكيد عليه بحسب بوفار "إن النظام الاجتماعي القائم على الملكية الخاصة هو ما أدى إلى الوصاية على المرأة المتزوجة، والثورة التقنية التي قام بها الرجال هي ما حرر نساء اليوم"[٣] إلا أن مما يجب التنبه له أن الرجل لم يفكر بتحرير المرأة إلا عندما ارتأى بهذا مصلحة له، فحريتها منوطة براحته وظروفه، فعندما شعر بأنه "سيتحرر عندما يحررها، أي عندما يعطيها شيئا تعمله في هذا العالم"[٤] منحها جرعة من الحرية بقدر ما يبقيها طوع إرادته، مستغلا رغباتها المشتتة، فهي اجتماعيا معتادة على دورها كأنثى وفق قواعد لا تعلم من وضعها ولكنها سارية على الجميع، ووجدانيا تطمح للحرية، والتي قد تعني وفق ثقافتها الاجتماعية، التخلي عن أنوثتها "وهذا هو الصراع الذي يميز وضع المرأة المتحررة بشكل خاص. فهي ترفض أن تُحصر في دورها كأنثى؛ لأنها لا تريد أن تبتر، ولكن رفضها لجنسها هو بتر أيضا"[٥]. وفي هذا الخصوص يؤكد الاتجاه النسوي على أن "الدرس الذي نستقيه من هذه التأملات هو أن تحرر المرأة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تغيرت البنيات الأربع كلها التي توحدهن: الإنتاج والإنجاب والجنسانية والتنشئة الاجتماعية"[٦]، و"السؤال هو: ما الجنسانية التي يجب تحرير النساء للتمتع بها؟ إن مجرد إزالة العبء الموضوع على قدرة النساء على التعبير عن أنفسهن جنسيا هو انتصار فارغ إذا كانت الجنسانية التي سيصبحن أكثر حرية في التمتع بها ستبقى هي الجنسانية القديمة التي تحول النساء إلى أشياء"[٧]، فالطرفان –كما ترى الفلسفة

---

(١) المرجع السابق، صـــ٢٧٥.

(٢) الجنس الآخر، ٢/٢١٠.

(٣) المرجع السابق، جـــ١، صـــ١٧٣.

(٤) المرجع السابق، جـــ٢، صـــ٢٦٣.

(٥) المرجع السابق، جـــ٢، صـــ٤٧٦.

(٦) مقالات في النسوية. صـــ٦٣.

(٧) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٢٣٨.

النسوية- يؤديان للاستعباد، (شدة الاحتشام الذي يحبس عن الحياة الطبيعية)؛ لأنها بنظره سلعة، و (شدة الحرية الجنسية)؛ والتي قد تُحَول المرأةَ إلى سلعة، بممارسة الدعارة مثلا؛ مما سبب بظهور السحاقيات، اللاتي اخترن هذا الطريق ظنا منهن بأنه الحل الوحيد للاستغناء عن الرجل وبالتالي الخلاص من سطوته.

وبعد هذا نرى أن أمر المطالبة بالحرية، في الفكر النسوي لم يصل أبدا إلى حد التنظير المتماسك الذي يمكن معه فهمه وإدراك حقيقته، الأمر الذي يجعل من الحرية -كأساس تؤكد عليه الاتجاهات النسوية عامة- أمرا هو محل تخبط وارتباك؛ مما يجعل المطالبة به -دون إدراك ماهيته- متعذرا، أو متعسرا على أحسن الأحوال، إلا أن ذلك لا ينفي أن "**الحرية**" **من أهم الأسس الفلسفية التي ينطلق منها الاتجاه النسوي كأساس للفلسفة النسوية.**

المطلب الثالث: الموقف من الدين:

كان أول ظهور للنسوية كتيارٍ متزامناً مع حركة التنوير والثورة الفرنسية؛ فاستقت من مبادئها ما تشكلت به، وكان من أهمها أن رأت في الكنيسة عدوها اللدود. ولكن – كما هو معروف- ليس كل المشاركين في عصر الأنوار هم أعداء للدين بذاته، بل كانوا أعداء للخرافات الكنسية، فمثلا جان جاك روسو في كتابه دين الفطرة، يظهر تدينه الكبير، وكذلك كانط في مؤلفاته، يعترف باستحالة القدرة على إنكار الإله وضرورة الدين لمذهبه الأخلاقي، وكذلك النسوية، فلم تحارب كلُّ رموزها الدينَ بذاته، ولكن كانت حرباً على البطريركية. "وفي الواقع قل استخدام مفهوم البطريركية من قِبل معظم مفكرات الحركات النسائية في العقد الأخير من القرن العشرين، باستثناء مفكرات الحركة النسوية الاشتراكية اللواتي أصررن على ضرورة إزاحة البطريركية والرأسمالية معا"[1]. وبما أن النسوية حركة نشأت وانتشرت وترعرعت في ثقافات مختلفة، فإنها "رغم اتفاق معظم الحركات على التمسك بمبادئ الحرية والمساواة والعدالة، إلا أن انتماءها إلى فلسفات مختلفة أدى إلى اختلافٍ في وجهات النظر حول المبدأ الذي له الأولوية على المبادئ الأخرى"[2]، فهناك نسويات متدينات، وأخريات يرون في الدين عدوهن اللدود، وأخريات لا يرين للدين علاقة بقضيتهن، و"في القرن العشرين، وبالأخص في الثلاثين سنة الأخيرة منه؛ خبَرَت بنات سارة تأثير النسوية

(1) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٣٩.

(2) المرجع السابق، صـــ٢٧٨.

على المسيحية وتأثير النسويين المسيحيين على التفسيرات الكتابية واللاهوتية. خضعت النصوصُ الكتابية والتفسيراتُ التقليدية للنصوصِ والصيغُ العقائدية التقليدية إلى فحصٍ دقيق، وانتُقِدت بسبب تحيزاتها البطريركية والهرمية"[١]؛ فنرى النسويات اتجهن لدراسة الأديان للاستفهام عن علاقتها بتدني وضع المرأة، وذلك في سعيهن الدؤوب لدراسة التاريخ والدين لحل الأمر من جذوره، "كما كتبت كارين أرمسترونج في تصديرها. فرغم أن يسوع المسيح، والقديس بولس، ومحمدًا؛ كان لديهم رؤية إيجابية تجاه النساء، إلا أن المتأخرين من علماء اللاهوت ودارسي القانون المقدس فرضوا هيمنة بطريركية، انحدرت في بعض الأحيان لتصل إلى مركزية ذكورية وبُغضٍ للنساء"[٢]، وهذا يساند الدعوات القائمة المطالبة بتنقية الأديان من الخرافات ومن تسلط أصحاب الدين الذين استخدموا الأديان لبسط نفوذهم الشخصي، والسيطرة على حيوات الجاهلين. أما في الإسلام فـ "إن أول نموذج لقيادة إسلامية؛ نراه جليًا في عمل (أمينة ودود) أستاذة الدراسات الإسلامية بقسم الفلسفة والدراسات الدينية بجامعة فيرجينيا كومونولث كأفريقية أمريكية، سعت ودود – مثلها مثل العديد من الأمريكيين المهتدين إلى الإسلام – إلى إيجاد ملجأ في الإسلام يحميها من العديد من التناقضات الاجتماعية الموجودة داخل المجتمع الأمريكي. مع ذلك، وبعد التحوّل إلى الإسلام؛ رأت أن كلمة "إسلام" وكلمة "مسلم" لا يؤديان دائما إلى المعنى نفسه وأن الممارسة عُلّقت كثيرا خلف النظرية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتكافؤ بين الجنسين داخل المجتمعات المسلمة"[٣]، وقد حرصَتْ وغيرها أيضا لإثبات تأثير الأديان الوثنية القديمة على المسيحية ومن ثم الإسلام، مؤكدين – بخصوص الأديان على أنه "مَن منا لم يسمع عن تدني ذكاء المرأة، ونقص العقل عندها، وعدم اتزانها في الحكم على الأشياء، وعدم صلاحيتها للسياسة، أو القيادة، أو إدارة شؤون الدولة... إلخ"[٤]، وأن هذه الأفكار الرجعية كانت امتدادا للفلسفة اليونانية ذاتها[٥] . وهنا يُشار إلى ظهور "أشكال النسوية الإسلامية المتعددة وطرق التعبير عنها على طول سلسلة تمتد بين نقيضين: هوية ممنوحة وهي مسلمة،

---

(١) بنات إبراهيم. صـــ١٣٩

(٢) المرجع السابق، صـــ ٦١.

(٣) المرجع السابق، صـــ١٧٨.

(٤) أرسطو والمرأة. صـــ٩.

(٥) انظر: أرسطو والمرأة، صـــ٨٥،٧٠–٩٠. وأفلاطون والمرأة، صـــ ٢١–٢٥.

وهوية متحققة وهي إسلامية"[١]؛ فالممنوحة تكون لنسويات وُلدن مسلمات ولم يقفن بوجه دينهن، كما لم يلتفتن لموقفه وإنما كان هدفهن نصرة المرأة، والمتحققة تكون لنسويات مسلمات أو غير مسلمات، وَجدن في الإسلام نصيرا لهن، فهو سلاح للمرأة، ينصرها ويرفع عنها الظلم. فمثلا "طالبت (ملك حفني ناصف) بتخصيص أماكن في المساجد للنساء ليشاركن في الصلاة في المجال العام. وبمطالبتها بأن تصير المساجد في متناول النساء، تكون قد أسست أجندة تعترف بما يقع في قلب الثقافة. كانت أجندة ملك حفني ناصف إسلامية، وكانت أهدافها نسوية. وهذه الحجة تفترض وجود حركة شعبية نسوية إسلامية قوية"[٢]، وقد سلك غيرها من النسويات مسلكها[٣].

إذن – وبخصوص دونية المرأة في الأديان نجد الفكر النسوي يؤكد على أن المرأة كانت "في المثيولوجيا اليونانية ضعيفة مغلوبة على أمرها، ليس لها حقوق حتى وإن كانت آلهة، تماما كما كانت المرأة في المجتمع اليوناني"[٤]، وبالتالي "سنجد أفكار أرسطو عن المرأة متناثرة في تراثنا هنا وهناك، حتى لقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا عموما، تجدها عند المثقف، والمفكر، والفيلسوف، كما تجدها عند رجل الشارع سواء بسواء!"[٥]، فقد كان أرسطو – كما ترى الفلسفة النسوية – جوازَ عبورِ هذه الأساطير الباطلة إلى أذهان الجميع حتى المتدينين، مشيرين إلى استناد المسيحية على المنطق الأرسطي للبرهنة على عقائدهم، ثم الإسلام كان يعامل المسيحية كدين سماوي محرف، ولكنه قد يتأثر بما فيه تعظيما لعيسى –عليه السلام– وللإنجيل[٦]."ومن المعروف أن التراث الروماني كان امتدادا طبيعيا للتراث اليوناني بما يحمله للمرأة من كراهية ونظرة دونية. فضلا عن أن التراث اليهودي كان يتبنى النظرة نفسها مع إضفاء صبغة دينية عليها، محاولا أن يجعلها (إلهية) أو (مقدسة) حتى استسلمت لها المرأة اليهودية في نهاية الأمر، واعتبرتها قضاء الله الذي لا راد لقضائه!"[٧]، وهنا يؤكد

---

(١) النساء يطالبن بإرث الإسلام. صـــ١٠٦.

(٢) الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة، فدوى الجندي، صـــ٣٧٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، صـــ٣٧٥.

(٤) أفلاطون والمرأة. صـــ٣٣.

(٥) أرسطو والمرأة، صـــ٨.

(٦) انظر: الفيلسوف المسيحي والمرأة، صـــ٧–٨. وبنات إبراهيم، صـــ٨–١٨٥، ٩

(٧) الفيلسوف المسيحي والمرأة، صـــ٧–٨.

الفكر النسوي على أن هذا "تراث كان يعبر عن مصلحة الرجل ومنفعته"[١]، وأنه من "الغريب حقا ألا تستطيع الأديان –رغم سماحتها وتقديرها للمرأة كموجود بشري– أن تتغلب على هذه الظاهرة: طغيان الرجل وسيطرته، بل وملكيته للمرأة"[٢]، ومن هنا كانت مطالبة النسويات بإعادة النظر في مناهج البحث وفي العلوم بمنظور نسوي[٣] .

ومن اللافت في عالمنا العربي وجود التنوع في الفكر النسوي بين من يعادي الدين ومن يراه نصيراً للمرأة، إلا أنه قد تولى قيادة النسويات بعض العلمانيات اللواتي أخفين ما في الاتجاه النسوي من تنوع، بل أصبحت النسوية والعلمانية في الفهم الدارج لا تختلفان، "وقد ظل هذا الاتجاه النسوي الإسلامي خارج سجلات وقائع النسوية المصرية. فالباحثون والباحثات الملتزمون والملتزمات بالعلمانية إما أنهم أنكروا وجوده أو رفضوا بشكل أيديولوجي أي نقاش أكاديمي حول هذه التشكيلات على سبيل إبراء الذمة، بل رفضوا حتى الدراسات الرصدية لها. لكنها نسوية لأنها تسعى لتحرير الإناث من حيث هن نساء؛ وهي إسلامية لأن حججها متضمنة في المبادئ والقيم الإسلامية"[٤]. ومع هذا التنوع في الموقف من الدين إلا إن الفكر النسوي يلح على أن "اللاهوت النسوي هو نقد منهجي لهذا التحيز البطريركي، لأنه يسيطر على نظام الرموز اللاهوتية، سواء بعبارات علنية صريحة معادية للمرأة حول دونية المرأة وإدانتها، أم بشكل مستتر في النزعة المركزية الذكورية المنتشرة التي تجعل من الرجل مقياس الإنسانية بطريقة تجعل المرأة غير منظورة"[٥]. فالنسويات يرين أحقيتهن في الدين، ويحاربن استفراد الذكور به كما يحصل في المسيحية، "وتؤكد شهادات النساء أنفسهن على أن الديانات السماوية قد أكرمت المرأة، وأعطتها حقها غير أن الثقافة والتاريخ قد بخساها هذا الحق"[٦]، بل كثيرات منهن يرين في الدين الحل لكافة مشاكل المرأة[٧] ، وأن "موقف الدين بوصفه وحيا منزلا وبوصفه دين الفطرة يعطي المرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية ذكورية تبخس المرأة حقها ذاك

---

(١) المرجع السابق، صـــ٨.

(٢) المرجع السابق، صـــ١٠.

(٣) انظر: أنثوية العلم، صـــ٧–١٠.

(٤) الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة، فدوى الجندي، صـــ٣٨٠.

(٥) بنات إبراهيم. صـــ١٤٩.

(٦) المرأة واللغة. صـــ١٦.

(٧) انظر المرجع السابق، صـــ١٦–١٧.

وتحيلها إلى كائن ثقافي مستلب"[١]، وهذا ما أدركته بعض المناصرات للفلسفة النسوية؛ ولهذا "مع مطلع القرن الحادي والعشرين، استمرت النساء في التقاليد الإبراهيمية؛ في إعادة بناء تقاليد إيمانها... فالجميع يستغرق في إعادةِ قراءةٍ للنصوصِ المقدسة والتاريخ، تواجه البطريركية والمعايير المتمحورة حول الذكور في الماضي والحاضر. يسعين إلى دعم ذواتهن وإعادة بناء الرموز، والمعتقدات، والقوانين، ومؤسسات تقاليدهن الدينية، واستبدال الهيمنة البطريركية برؤية دينية أكثر شمولية وعدالة"[٢]، ولأن "العادات والتقاليد كثيرا ما تطغى على الأفكار الدينية الجديدة وتطمسها تماما، بل وتحل محلها لتكتسب هي صفة القداسة الدينية"[٣]؛ فإن العودة لدراسة الأديان غاية، ووسيلة لتحقيق أهداف الحركة النسوية، والتي تؤكد على أن "مِن النعم أن تكون هناك فرصة لاجتماع النسويين المسلمين واليهود والمسيحيين في حوار؛ لأنه من البديهي أن الاستماع لصوت الآخر سيمكننا من التعرف على أنفسنا؛ عندما نتعرف على رحلة "الآخر"؛ تصبح الكثير من الأمور في رحلتنا الخاصة أكثر وضوحا"[٤].

ومؤخرا، ولأن الإنسان بجنسيه لا يستغني أبدا عن الدين لإرواء جانبه الروحي؛ فإننا نرى الحركة النسوية التي ظهرت كاتجاه حقوقي ابتداءً تلتفت للروحانيات ولو بعيدا عن الأديان السماوية؛ فـ"تروج حركة العصر الجديد لما يسمى الروحانية النسوية، وهي تفسير جديد للتدين. والروحانية نبع من الحركة السياسية النسوية التي ظهرت في الولايات المتحدة وفرنسا في منتصف القرن الماضي تقريبا، وهي تجمع بين عناصر وثنية، وعناصر نصرانية، وإن كان يغلب عليها الجانب الوثني"[٥]. ومما تحسن الإشارة إليه هنا كيف "كانت الموجة النسوية الثانية علمانية بشكل حاسم. واستبعد الدين كأداة بطريركية توفر التبرير الأيديولوجي لتبعية النساء على أنها مشيئة الله. وكان ربط الدين مع التقليد والخرافة والعقيدة والتشدد -وكلها عوامل تقف ضد العقل والديمقراطية والتاريخ- واحدا من موروثات عصر الأنوار الذي لم يعمل أغلب النسويين على تفكيكه"[٦]، وقد كان ذلك مجرد موجة ناقمة، لا تمثل – كما يرى البعض – لب التيار

---

(١) المرأة واللغة. صـــ١٧.

(٢) بنات إبراهيم. صـــ ٧٣.

(٣) الفيلسوف المسيحي والمرأة، صـــ١٨٩.

(٤) بنات إبراهيم. صـــ ١٠٥.

(٥) حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها. صـــ٥٤٩.

(٦) النسوية العربية رؤية نقدية، مجموعة من الكتاب، صـــ٤١.

النسوي[١] ، وإنما اعتقدها بعض أفراده في فترةٍ ما وسيلةً لرفع الظلم الواقع على المرأة، ولكنْ بعدها عادت النسويات، أو كثير منهن لرفع اللوم عن الأديان، بعد أن درسن مضامينها، وأدركن ما وقع عليها من تزوير، ومن هنا كان "من المؤكد أنْ لا إجماع بين النسويين حول هذه المسائل، وليس من المدهش عدم وجودِ خطٍ تفكيرٍ واضح حول هذه القضية"[٢]، فكما ذكرتُ سابقاً لكلٍّ نشأتُه وقناعاته، وإنما تم الاتفاق على أن وضع المرأة غير مقبول، ولابد من تعديله للأفضل، وهنا يظهر أثر الضبابية التي نلمسها في الفلسفة النسوية على مثل هذه القضايا الكبرى، وأن "عدم اهتمام أغلب الباحثات بتقديم تعريف دقيق للمصطلح، والاختلاف في تحديد مضمونه قد أسهما في ذيوع مصطلحات عديدة تطلق على هذه الحركة أو تدور في فلكها"[٣]، الأمر الذي جعل الفكر النسوي يحمل مصطلحات فضفاضة، لم تساعد على جعل الحركة متماسكة متسقة، إلا أن هذا لا يلغي **كون "الموقف من الدين" رفضاً أو قبولاً أحد الأسس المهمة في الفلسفة النسوية.**

المطلب الرابع: الموقف من الجندر:

في إطار سعي المرأة لمعرفة أسباب اختلافها عن الرجل كان العامل البيولوجي هو الأول، والذي على أساسه رأى الفكر النسوي بأن هناك رجلاً يرى نفسه متميزا على المرأة – ذاك أن هناك نسويات ينكرن أي فوارق بين الذكر والأنثى –[٤] ، ثم تساءلن هل العامل البيولوجي كاف لتمييز بين الجنسين؟. وكما تحدثت في مبحث المساواة فقد وقع الخلاف، ثم قررن أن هنالك تمييزاً بالجنس، قائماً على الاختلافات البيولوجية، وتمييزاً بالجندر يقوم على الاختلاف في التنشئة الاجتماعية، فاتهمن المجتمع بأنه اخترع التنشئة الأنثوية، والتنشئة الذكورية، وأنها أمور لا مبرر لها، غير التمييز العنصري[٥] . وتُعَرف الموسوعة البريطانية الجندر بأنه: "شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، وفي الأعم الأغلب فإن الهوية الجندرية والخصائص العضوية تكون على اتفاق أو تكون واحدة، ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية ولا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية. (أي شعوره الشخصي بالذكورة أو

---

(١) انظر المرجع السابق، صـــ٤١-٤٢.

(٢) المرجع السابق، صـــ٤٣.

(٣) المرجع السابق، صـــ٣٧٣.

(٤) انظر: الجنس الآخر، جـــ١، صـــ٣٢-٣٤.

(٥) انظر المرجع السابق، جـــ٢، صـــ١٣.

الأنوثة)"[١]، و"يَستخدم علماءُ الاجتماع مصطلح (الجنس) للدلالة على الفروق التشريحية، والفسيلوجية، والاجتماعية، والثقافية بين الذكور والإناث. أما الجنوسة؛ فتعني الأفكار والتصورات الاجتماعية لمعنى الرجولة والأنوثة؛ وهي بالتالي ليست نتاجا مباشرا بالضرورة للجنس البيلوجي لدى الإنسان"[٢]، وبالتالي "فحينما نشير بشكل محدد إلى التصنيفات البيولوجية للذكور والإناث فإننا نستخدم عادة مصطلح (جنس)، أما عندما نشير بشكل أشمل إلى التصورات الاجتماعية عن الذكورة والأنوثة مثل الصور النمطية الثابتة والأدوار فسنستخدم عادة مصطلح (جندر)"[٣]، وهذا المصطلح "بهذا المفهوم من أوائل من سكه روبرت ستوللر (١٩٩١م) أستاذ الطب النفسي... أما في اللغة العربية فقد تم تعريبه غالبا: النوع الاجتماعي"[٤] و "الجندر كلمة لاتينية في الأصل تشير إلى الجنس (أي اختلاف الجنس بين الذكر والأنثى) لكنه أُخذ –كمصطلح في علم الاجتماع– مفهوما محددا يشير إلى الأدوار الاجتماعية لكل من الذكر والأنثى"[٥]، ومن هنا فإن "الفلسفة الجندرية تسعى إلى تماثلٍ كامل بين الذكر والأنثى، وترفض الاعتراف بوجود فرق، وترفض التقسيمات، حتى تلك التي يمكن أن تستند إلى أصل الخلق والفطرة. فهذه الفلسفة لا تقبل بالمساواة التي تراعي الفروقات بين الجنسين، بل تدعو إلى التماثل بينهما في كل شيء"[٦]، فمثلا لا ترى مبررا لأن يعمل الرجال في الجيش دون النساء، أو حتى أكثر منهن، فمن آليات البحث العلمي لديهن لدراسة المساواة بين الجنسين، دراسة معدل الذكور إلى الإناث في مجالٍ ما، فلا يرضيهن أن يكون عدد الجنود أكثر من الإناث، بل يطالبن بالمساواة حتى في العدد. ويؤدي هذا طبعا لاعتبارهن اختيار الإناث البعد عن السلك العسكري مجردَ جهلٍ ناتجٍ عن العوامل الاجتماعية والتربوية، وأنهن لسن من اختار هذا القرار[٧] . ولقد "أدى استخدام مقولة الجنوسة من قِبل معظم الحركات النسوية إلى انبثاق نوعين من التنظير؛ أحدهما لم يعط هذه المقولة أهمية

---

(١) الحركة النسوية في اليمن تاريخها ووقائعها، أنور قاسم الخضري، صـــ١٠٨. وانظر: الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم، الدكتورة فرح الفاضلي، صـــ٢٨.

(٢) الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية. صـــ١٩.

(٣) علم النفس الاجتماعي للجندر، صـــ٣٥.

(٤) الفكر الأنثوي مدخل جدلي في صراع الفكرة والفطرة، فهد بن محمد الغفيلي، صـــ١٥٢-١٥٣.

(٥) النسوية مفاهيم وقضايا، مية الرحبي، صـــ٧٨.

(٦) الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم، الدكتورة فرح الفاضلي، صـــ٢٩.

(٧) انظر المرجع السابق، صـــ٢٩.

تذكر ويؤكد تأثير العوامل البيولوجية على الطبيعة البشرية ويقول بوجود ماهية ثابتة لكل جنس، والآخر يؤكد تأثير العوامل الاجتماعية على الإنسان ويرفض فكرة وجود ماهية ثابتة له"[١]؛ كعادة التيار النسوي، في أنه غيرُ ثابــتٍ؛ لطبيعة نشأته، وطبيعة المنتمين إليه، واختلافاتهم على جميع الأصعدة.

وفي هذا الشأن "ترى باجليا أن النوع هو مفهوم ماهوي؛ حيث يضرب الاختلاف الجنسي بجذوره في البيولوجيا؛ فتتكون الرجولة والنسوية حسب نموذج ثنائي. يدل الرجالي على النشيط، بينما يتساوى النسائي مع السلبي"[٢]، فهذا اتجاه يرى الجندر امتداداً للجنس، وليس شيئا صنعته التربية فقط. وهناك من يرى أن "الجنسانية شكل من السلطة. والجندر – وصفه مركبا اجتماعيا– يجسدها، وليس العكس. النساء والرجال منقسمون بحسب الجندر، موزعون إلى الجنسين حسبما نعرفهما، بحسب المتطلبات الاجتماعية لشكله المسيطر، أي الجنسانية الغيرية التي تُمأسس السيطرة الجنسية المذكرة والخضوع الجنسي المؤنث. إذا كان هذا صحيحا، فالجنسانية هي العنصر الأساسي في التفاوت بين الجنسين"[٣]، ولهذا يدعو هذا الاتجاه إلى رفض التغاير الجنسي من أصله، "وتعتقد دينرستين أن رغبات الرجال والنساء هذه تشوه نظام الجنوسة وتجعله يتصف بالسمات التالية: ١–حاجة الرجل لامتلاك المرأة (الزوجة أو الحبيبة أو الابنة) لكي يتغلب على واقع كونه معتمدا اعتمادا كليا عليها... ٢–صمت دافعية الشهوة الجنسية عند النساء... ٣–ارتباط الإثارة الجنسية عند المرأة بالعواطف الخاصة بالنساء... ٤–تَنكر المرأة لذاتها... ٥–تأرجح مشاعر المرأة تجاه جسدها... ٦–الإتفاق الضمني بين الرجال والنساء حول المجال العام والمجال الخاص"[٤]، فهي ترى أن ميل الجنسين لبعضهما إنما هو وسيلة ابتكرها الرجل لإخضاعها، فهو لا يستغني عنها خصوصا في الإنجاب، ومن هنا يقررن أن النسوية قد أماطت "اللثام عن الذكورة بوصفها شكلا من السلطة التي هي كلية القدرة وغير موجودة في آن واحد، شيء غير واقعي مع كثير من النتائج الواقعية"[٥].

---

(١) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٣٣٠.

(٢) أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية. صـــ٩٢.

(٣) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٢٢٩.

(٤) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٢٠٤–٢٠٥.

(٥) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٢٥٢.

هذا الاتجاه كما يبدو شديد التطرف. ومن اللافت هنا أن هذا الاعتراف بأن الرجل هو المسيطر يتضمن في داخله إقراراً بضعف المرأة، بل ويتضمن إقرارا بالفرق الشاسع بين الجنسين. حتى وإن زعم أن التربية الاجتماعية هي من صَنع هذا الفارق، فلماذا لم تعمل هذه التربية بشكلٍ عكسي؟، هذا ما لا نجد له جوابا لدى الفكر النسوي، والذي يؤكد على أن "الجندر منظومة اجتماعية تقسم السلطة. وهو بذلك منظومة سياسية. بمعنى أن النساء، مع مرور الوقت، قد استُغللن اقتصاديا، وأُبعدن إلى العبودية المنزلية، وأُجبرن على الأمومة، وَشُيِّئْنَ جنسيا"[١].

لقد "بحثت المفكرات خلال تأسيسهن النظرية الجنسية عن مصادر جديدة وركزن على المنعطف اللغوي الذي كان قد أثر في حقل الفلسفة وفي كل حقول الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في أواسط الستينات والسبعينات. وتأثرت منظرات الفكر النسوي في العالم الأنغلوفوني بآراء فلاسفة ما بعد الحداثة... الأمر الذي جعل نظريتهن النقدية تتحول من مجال العلوم الاجتماعية والتاريخية إلى مجال الفلسفة والدراسات الأدبية والثقافية"[٢]؛ فتساءلن مطولا عن أثر اللغة في صناعة الفرق بين الجنسين، وتتبعن الكتابات الأدبية لمعرفة رأي النساء والذكور ببعضهم على حد سواء، وتساءلن "هل إزالة القيود الجندرية الموضوعة على التعبير الجنسي، أو تعديلها، يغيران قواعده أو يتحديانها؟ هذا السؤال هو -في النهاية- سؤال عن التحديد الاجتماعي بأوسع معانيه: آليته، ونفاذيته، وخاصيته النوعية، وكليته"[٣]، وهذا السؤال يحتاج زمنا طويلا للحصول على جواب علمي. ما الذي أغفل النساء لقرون، ليستيقظن فجأة ناقمات على وجودهن؟.

وفيما يخص البحث الأنطلوجي يقرر الفكر النسوي بأن الجندر يُعاش "على أنه أنطلوجيا (علم الوجود)، لا على أنه أبستمولوجيا"[٤]؛ وتلك الصناعة الذكورية -بحسب الفلسفة النسوية- أكسبت الأمر هالةً واسعة من التأثير على أعمق التفاصيل في حياة المرأة، وأدت لحرمانها من أمورٍ لا يُتصور أن يُحرم الإنسان منها بجنسيه، كالحرية في العمل، أو اختيار شريك الحياة، وغيرها من الأمور المشروعة للإنسان. وهذه الفكرة حتى الآن لا زالت -في الفكر النسوي- بلا ضابط لها؛ فانساق الكثيرات لإلغاء

---

(١) المرجع السابق، صـــ٣٢٧.

(٢) الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. صـــ٣٠.

(٣) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٢٣٨.

(٤) المرجع السابق، صـــ٤٨٩.

جميع الفروق كافة. وقد وجد هذا الاتجاه في أقوال بعض الفلاسفة ما يمكن الاستناد إليه لتأييد مسارهن، فنجد فرويد مثلاً وهو من أكبر المؤثرين على وضع المرأة في القرن التاسع عشر، "يرى أننا لا نعرف على وجه التحديد ما هي طبيعة الأنثى التي تختلف عن طبيعة الذكر. وكل ما نعرفه أن شخصية المرأة تشكلت من نوع التربية التي نشأت عليها منذ الماضي السحيق.. وما يتوهمه الناس من فروق جوهرية بين الجنسين مرده إلى الظروف الاجتماعية التي اكتنفت حياة كل منهما. ولو كان التمايز بين الرجل والمرأة يعود إلى اختلاف طبيعة كل منهما ما احتاج الأمر إلى قوانين تحمي سيادة الرجل وتَكْفل عبودية المرأة، وإذا كانت طبيعة المرأة هي التي عاقتها عن أداء بعض الوظائف فلماذا لجأنا إلى سن قوانين لإقرار عجزها وإزالة أهليتها لمزاولة هذه الوظائف؟!. إن العدالة كانت تقتضي أن نترك المرأة والرجل –منذ الماضي السحيق– في ميدان المنافسة الحرة، وكان المنتظر أن يمضي كل منهما إلى حيث تؤهله قدراته، وعندئذ كانت تتكشف حقيقة كل منهما"[١].

وإذا كان الحياد الجندري قد طبق في بعض المجالات إلا أن "النساء اللواتي يستفدن من الحياد الجندري ... هن في معظمهن نساء حققن سيرة ذاتية تقترب على نحوٍ ما من المعيار الذكري، على الورق على الأقل"[٢]، وهنا يرى الفكر النسوي بأنه "عادةً ما تُنصح النساء بالتصرف على نحو أقرب إلى سلوك الرجال وذلك لكي تستطيع أن تتخطى الحاجز الزجاجي"[٣]، والحاجز الزجاجي هو حاجز يحس ولا يرى، يجعل المرأة لا تستطيع منافسة الرجل مهما تفوقت في إمكانياتها، وهو مصطلح ظهر حديثا عندما أصبحت المطالبة بحقوق النساء موضة تكفلها الأمم المتحدة، فأصبح الرجل لا يستطيع الإفصاح عن عنصريته، ولا يمكنه الإفصاح عنها، فيلجأ للحيلة والخدعة لعرقلة المرأة مهنيا كما تقول الفلسفة النسوية[٤] ، مقررة "أنه عندما يتصرف الرجال كالنساء تتهاوى مكانتهم، وتصبح هويتهم الجنسية محل شك، بينما عندما تتصرف النساء كالرجال فإن مكانتهن ترتفع، ولكن تغدو أنوثتهن وجاذبيتهن الاجتماعية محل شك"[٥]، وهذا بدوره – حسب الرؤية النسوية – يؤكد ضرورة بذل الجهد من النساء لإلغاء الفارق مع الرجال،

---

(١) استعباد النساء، صـــ١٦.

(٢) نحو نظرية نسوية في الدولة. صـــ٤٧٠.

(٣) علم النفس الاجتماعي للجندر، صـــ٢٧٧.

(٤) انظر المرجع السابق، صـــ٢٧٧-٢٧٨.

(٥) المرجع السابق، صـــ٣٠١-٣٠٢.

"وهو ما يظهر من القول النسوي المأثور (لكي تكون المرأة جيدة، فعليها أن تكون بقدر الضعف من جودة الرجل)، معنى ذلك بتعبير آخر أنه يتعين على المرأة أن تتفوق في الأداء على الرجل لكي ينظر إليها على أنها مساوية له"[١]. وهنا يؤكد الجندريون على أن الفروق بين الرجال والنساء "ليست سوى الأثر الطبيعي للاختلافات في التربية والظروف، ولا تدل على أي اختلاف جذري خلقته الطبيعة. وبالتالي فليس ثمة أي انحطاط في قدرات المرأة عن الرجل"[٢]. وعودةً إلى فرويد فقد "كان من الأعداء الذين لا يلينون في محاربتهم للنفور من النساء لدى بعض تلامذته من أبناء فيينا وبعض الأطباء من وسطه المهني، أولئك الذين ينظرون إلى المرأة باعتبارها مخلوقا أدنى من الرجل فزيولوجيا. هذه اللامساواة، كما كان يقول، لا وجود لها في اللاشعور: إنها تشكيل هوامي. ناهيك أنه كان يرى في كراهية النساء وفي الانتقاص من قيمتهن أحد جذور معاداة السامية لا شعوريا. وكما كان قد وصف الجنسانية الطفولية انطلاقا من نظريات ابتكرها الأطفال، ها هو يبني مذهبه بخصوص الجنسانية استنادا إلى العرض الذكوري للأنثوية وكذلك للعرض الأنثوي للذكورية، وهكذا فإن نظريته حول الأنثوية ظلت جزئيا متصلة بحالة المجتمع الذي يعيش فيه"[٣]، وفي هذا الخصوص تؤكد النسوية على أن "مفهومنا لما يعنيه أن تكون امرأة، وكيف تبدو النساء، وكيف يتحدثن ويفكرن ويشعرن، يتأتى من الكتب التي نقرؤها والأفلام التي نشاهدها والأثير اللامرئي من الفرضيات اليومية والمعتقدات الثقافية التي نتعلق بها. بعبارة أخرى، بدلا من أن تنتج الذوات النصوص فإن النصوص هي التي تنتج الذوات"[٤]، فـ "الجنوسة ليست طبيعية أو بيولوجية أو جوهرية أو كونية أو لا تاريخية، ولا يزال بوسعنا القول إن الجنوسة لها علاقة بالأمر لأننا نعتبر الجنوسة كموقع نتصرف انطلاقا منه سياسيا"[٥]؛ ومن هنا لا زالت الكثيرات منهن مصرات على بُعد الجندر عن الجنس، ويحاربن الفن والأدب وحتى العلوم التي تتحدث انطلاقا من الفروق القائمة بين الجنسين، فـ"الأنثى – جسدا وعقلا– اعتُبرت في الأدب الكلاسيكي عامةً أكثر عرضة من غيرها للثورات الانفعالية، ولتلبس الأرواح الشريرة. وهذا الاعتقاد جزء من النظرة الذكورية الأعم

---

(١) المرجع السابق، صـــ٣١٠.

(٢) استعباد النساء، صـــ١٢٤.

(٣) سيغموند فرويد في زمانه وفي زماننا. صـــ٣٣٥.

(٤) نظرية الأدب النسوي، صـــ٧٠.

(٥) المرجع السابق، صـــ٥٥٨.

للأنثى باعتبارها خطرا محدقا بالذكور"[١]، ويتهمن الرجال بالتخطيط لكل هذا، ويتصورن أنهن في وسط مؤامرة كبرى اتفق عليها الرجال عبر العصور والقارات، فـ"لكي يشق الرجال طريقهم في هذا العالم، عملوا على إسقاط العديد من الصفات المهترئة غير المرغوبة على ما يبدو من الناحية التاريخية، مُصَدرا لها على المرأة، حتى ينكروا أي منشأ لها عن ذواتهم. بهذه الطريقة ألصق الرجال بطاقة الأنثوية على تلك الصفات التي لاحظوها في المرأة، بمعية تلك الصفات التي ينكرونها على أنفسهم"[٢]، وترى سيمون –عميدة التيار النسوي– بأنه "لا يولد المرء امرأة، إنه يصبح كذلك. لا يوجد أي قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يستطيع تحديد الصورة التي تبدو عليها الأنثى البشرية ضمن المجتمع. إن مجمل الحضارة هو الذي يصنع هذا المنتج الذي يقع بين الذكر والخصي والذي يصفونه بالمؤنث. فقط تَدَخُّل الآخرين يمكنه أن ينشئ شخصا آخر. وعلى اعتبار أن الطفل موجود لذاته فهو لا يدرك أنه متمايز جنسيا. الجسد هو أولا ازدهارُ ذاتيةٍ لدى البنات والصبيان، الأداة التي تقوم بفهم العالم، فهم يدركون العالم عبر العيون، والأيدي، وليس عبر الأجزاء الجنسية"[٣]، مؤكدة على أن "إحدى اللعنات التي تثقل على المرأة –أشار إلى ذلك ميشليه– هي أنها تُركت في طفولتها بين أيدي النساء. الصبي أيضا تربيه أمه في البدء؛ لكنها تحترم ذكوريته ويفلت منها سريعا؛ بينما تنوي دمج البنت في العالم الأنثوي"[٤]؛ فتدعم نظرية المؤامرة ضد المرأة والذي يقودها الرجل، وتطيعه النساء المستعبدات الخاضعات لإرادته بسبب احتياجهن الاقتصادي. "إن الإيديولوجيات التقليدية للرومانسية والرسائل المختلطة في الثقافة المعاصرة لا تمثل قيدا على النساء وحدهن. فقد تمت تنشئة الرجال اجتماعيا على أن يتسموا بالجرأة والحزم، وإن كان يتوقع منهم أيضا كبح هذه السمات في العلاقات الرومانسية الطبيعية، وأن يعاملوا شريكاتهم بأدب الفرسان وبحماية فائقة الاهتمام"[٥]. وفيما يتعلق بتشكل الجندر تؤكد الحركة النسوية على أن "الرجل في واقع هذا المجتمع

---

(١) صورة المرأة في العصور القديمة، صـــ٤٠–٤١.

(٢) أنثوية العلم، صـــ٤١–٤٢.

(٣) الجنس الآخر، جـــ٢، صـــ١٣.

(٤) الجنس الآخر، جـــ٢، صـــ٢٦.

(٥) علم النفس الاجتماعي للجندر، صـــ٣٧٣.

يتعرض شأنه شأن المرأة لعملية ترويض بقدرٍ متفاوتٍ وبصورٍ مختلفة، إذ يعد بدوره لأداء الدور المرسوم له في إطار المجتمع"[١].

وفي خصوص تأثير النصوص على تشكل الجندر ترى النسويات بأنه يُستشف "عند قراءة السير الذاتية النسائية، هذا الخيط الرابط في كتاباتهن؛ ألا وهو البحث عن الهوية الأنثوية كمحطة أولى، وإن كان ذلك يهيمن أيضا في النصوص الروائية التي تكتبها الأنثى، فالشخصيات التي تَكتبُ عنها المرأة هي شخصيات باحثة عن الهوية الأنثوية داخل المجتمع، ولذا، فإن السرد في السيرة الذاتية لا ينفك يتأثر بهذا الطابع الذي تكتب النساء من خلاله. فالمرأة مازالت تبحث عن هويتها من خلال الكتابة"[٢]، وفي المقابل نلحظ "تناقض صورة المرأة في ذهن الرجل، وتناقض موقفه منها؛ إذ يريدها إمّا زوجة، عفيفة طاهرة، وملكية خاصة له، وإمّا امرأة مغوية، حرة ومستقلة، يجد معها رجولته الأصلية، أو إمكان انبثاقها. وإذ يفضل الأولى على الثانية، إذعانا للتقاليد، يهرب من الأولى إلى الثانية، بإرادته ورغبته، تمردا على التقاليد ذاتها"[٣]، "ويمكن القول إجمالا: إن الدراسات الثقافية المقارنة للصور النمطية الثابتة للجندر تشير إلى أن الناس في العالم كله يربطون بين الرجال وبين سمات الفعالية، والقوة، والهيمنة، بينما يربطون بين النساء وبين سمات التنشئة، والعون، والإذعان"[٤]، وهنا ترى النسويات بأنه "إذا كانت كثرة من النساء ينظرن إلى المساواة على أنها سمو إلى مستوى الرجل، فإن كثرة من الرجال ينظرون إليها على أنها دنو من مستوى المرأة، أو انخفاض إلى مستواها"[٥]. ومع أن "الأنوثة والذكورة تأويلان اجتماعيان لمعطىً بيولوجي مفتوح على آفاقٍ معرفيةٍ خصبة، وليس فيه من قول أخير"[٦]، إلا أن التفضيل لا زال قائماً بينهما، ساعياً لاعتبار الرجل هو المعيار، "وكأن تحديد المرأة لذاتيتها حينئذ غدا مرتبطا بموقعها من عالم الرجل، وظل هذا الموقع أسيرا لماهية علاقتها به، وهي غالبا علاقة لا تتجاوز أشكالا ثلاثة: ١- علاقة خضوع (ينشأ عنها استلاب واضح لهوية المرأة، مما يفقدها ذاتها في الآخر). ٢- علاقة تسلط (تتبنى الذات خلالها شروطا تسلطية تعمل على نفي الآخر من عالمها). ٣- علاقة

---

(١) صورة الرجل في القصص النسائي، سوسن ناجي، صـــ٣٠.

(٢) الجنس الملتبس السيرة الذاتية النسائية، لطيفة لبصير، صـــ٢٨٣.

(٣) فخ المساواة تأنيث الرجل وتذكير المرأة، جاد الكريم الجباعي، صـــ٤٩، بتصرف يسير.

(٤) علم النفس الاجتماعي للجندر، صـــ١٧٠.

(٥) فخ المساواة تأنيث الرجل وتذكير المرأة، جاد الكريم الجباعي، صـــ٣٥٣.

(٦) المرجع السابق، صـــ١٩١.

توافق (تتنازل الذات خلالها عن كبريائها لتتبادل الاعتراف بالذات الأخرى)"[١]، وهنا ترى بوفار بأن "المازوشية جزء من الانحرافات الشبابية، وليست حلا حقيقيا للصراع الذي يخلقه قدر المرأة الجنسي، لكنها وسيلة للهرب منه بالاستغراق فيها"[٢] نافية ما يشاع عن الأنثى، معتبرة هذه الشائعة حيلة العاجز عن الخلاص.

وبهذا يتضح مكانة الجندر كأساسٍ فلسفي يقوم عليه الفكر النسوي، بين رافضٍ للفوارق وقائل بها، إلا أن الكل متفق على محورية الجندر في الطرح النسوي اليوم.

(١) صورة الرجل في القصص النسائي، سوسن ناجي، صـــ٤٤٢.

(٢) الجنس الآخر، جـــ٢، صـــ١٤٩.

المبحث الثاني: أسس الفكر النسوي من خلال الرؤية الإسلامية للمرأة.

سبقت الإشارة إلى أن الحراك النسوي بدأ كحركة حقوقية، تدعو إلى إعطاء المرأة حقها، ورفع الظلم الواقع عليها. وانتهى إلى كونه فلسفة لها –في الجملة– خصائصها المميزة، وتنطوي في داخلها العديد من التيارات والاتجاهات، تتشكل فيها العديد من المحمولات والموضوعات، إلا أنها –وإن تباينت بعض رؤاها إلى حد التناقض– تدور نتائجها جميعها في فلك المرأة.

وقد وجَدتْ هذه الفلسفة مبررها للظهور في العالم الغربي؛ لطبيعة السياقات الدينية والفكرية والاجتماعية التي تَشَكَّل فيها هذا الاتجاه. بدءاً بالكتب المقدسة (التوراة والإنجيل)، مروراً بالفلسفة، وانتهاءً بالقوانين الوضعية.

ففي خصوص الكتاب المقدس تؤكد الفلسفة النسوية على أن الدين هو النظام المؤسس لهيمنة الذكور ودونية المرأة، وذلك أن "فكرة الإله الأب هي البداية لإعلاء شأن الرجل واحتقار المرأة، لأن الرجل عندما صاغ الدين النصراني لم يهيئ للمرأة فرصة الجلوس معه جنبا إلى جنب لصياغة التشريعات الدينية، وأن انعزال المرأة في الماضي تسبب في وصف الإله بالذكورة، ثم استمر الرجل في الانفراد بقيادة الطقوس الدينية، ولقد تقمصت بابوات الكنيسة هذا الدور الأبوي؛ مما أعلى من مكانة الرجل"[1].

ونحن إذا تأملنا نصوص الكتاب المقدس وجدنا فيه ما يمكن أن يستند إليه النسويين في مثل هذه الدعوى، فتجد فيه: "ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله ... فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله و مجده وأما المرأة فهي مجد الرجل * لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل * ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل"[2]، وجاء: "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً * لكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة"[3]، وفيه "ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل"[4]، وفيه "كذلكن أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن"[5]، وجاء فيه: "قال للمرأة تكثيرا أكثر

---

(1) تأملات حول مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، عزية علي طه، صـــ١٤.

(2) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٣ – ٩).

(3) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٤: ٣٤ – ٣٥).

(4) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٧: ٤).

(5) رسالة بطرس االأولى (٣: ١) وانظر: رسالة بولس الرسول إلى تيطس (٢: ٥).

أتعاب حبلك؛ بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك"[١]، وفي موضع آخر: "لكن لست آذن للمرأة أن تَعلَم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت * لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء * وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي * ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"[٢]، ومثله: "فقال الله لآدم: لتكن الأرض ملعونة بعملك لأنك أصغيت لصوت امرأتك"[٣].

وأما الفلاسفة ففي مجمل التراث الغربي كان نقص المرأة ودونيتها محل تسليم، وكان عمالقة التراث اليوناني مع هذه الرؤية "التي اكتسحت أفكارها التراث البشري وسيطرت عليه لألفين من السنين"[٤]، فقد "كانت آراء سقراط وأفكاره بالغة السوء عن المرأة، وهي بذلك تساير الشعور العام لكراهية المرأة الذي ساد المجتمع اليوناني ... أما تلميذه أفلاطون ... فقد كان في الواقع يعبر في فلسفته عن الجو العام الذي ساد الثقافة اليونانية، والذي يكن كراهية شديدة للمرأة ... أما أرسطو .. فإننا نخطئ كثيرا عندما نظن أن تعريف أرسطو الشهير للإنسان بأنه حيوان ناطق أو عاقل ينطبق على الإنسان بما هو إنسان، كلا؛ لأن الإنسان في نظر أرسطو الذي ينطبق عليه هذا التعريف هو الرجل الأثيني الحر فحسب، فلا العبد إنسان يصدق عليه التعريف، ولا المرأة إنسان بحيث تكون حيواناً عاقلاً ...ولقد ظلت هذه النظرة الغريبة قائمة في الفكر الغربي بصورٍ شتى حتى القرن التاسع عشر ... لقد كانت الصورة التي رسمها أرسطو للمرأة بالغة الأهمية؛ فقد ترسبت في أعماق الثقافة الغربية، وأصبحت الهادي والمرشد عن النساء بصفةٍ عامة"[٥] .

وأما من حيث الواقع الغربي للمرأة ففي "أمريكا: لا تتمتع المرأة في الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية –وهذا الحكم أطلقته اللجنة الأمريكية للحقوق المدنية– وتؤكد هذه اللجنة أن القوانين السارية في الولايات المتحدة – تقنن الظلم الذي تتعرض له النساء الأمريكيات عبر إعطائها امتيازات للرجل على المرأة أكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة.....كان أجر المرأة في عام

---

(١) سفر التكوين (٣: ١٦).

(٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس (٢: ١٢ – ١٥).

(٣) إنجيل برنابا (الفصل: ٤١).

(٤) جون لوك والمرأة صـ ٩.

(٥) جون لوك والمرأة صـ ٩ – ١٣، بتصرف يسير.

١٩٥٩م هو ٩,٦٣%، من أصل أجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل، وفي عام ١٩٧٨م انخفض إلى ٩,٥٨%. وقالت مجلة بنش: إن واقع المرأة الأمريكية هو الأجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهني وقلة مؤسسات تربية الأطفال. في إيطاليا: تحصل المرأة على أجر يقل عن الرجل بـــ ٣٠%. وفي فرنسا: يصل الفرق إلى ٣٣%. وفي اليابان: يصل إلى ٤٠%. وفي سويسرا: نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرًا حول وضع المرأة قالت فيه: "إن ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن –لأسباب مختلفة– من حق التصويت في انتخابات هيئة الإدارة المحلية وأن قضية مساواة المرأة بالرجل في سويسرا ما زالت دون حل". وفي أمريكا: لا تشغل المرأة سوى ٥% من الوظائف المنتجة وبصورة أساسية في هيئات السلطة المحلية –إذ يبلغ عددهن حوالي ٣,٥٩% من السكان، و ٢,٥٣% من الناخبين ومن أصل ٥٥٤٧ مقعدًا في برلمان السوق المشتركة التسعة يوجد ٣٥٧ نائبة أي أقل من ٦% من البرلمانيين، بينما تقترب نسبة النساء في هذه البلدان من ٥٢%. والبرلمان الياباني ليس به إلا ٣% من النساء من أعضاء البرلمان.... البطالة تنتشر في صفوف النساء في أمريكا أكثر بمرة ونصف المرة من انتشارها في صفوف الرجال، وتبلغ نسبة النساء اللواتي يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣% من الأمريكيين. وفي أمريكا كانت نسبة الفتيات خلال عام ٧٦/ ٧٧ الدراسي من طالبات الجامعة على النظام الآتي: من طالبات الطب ٢٥% ومن طالبات الهندسة ٦% ومن طالبات الحقوق ٢٠% ومن طالبات الفيزياء ١% ومن العاملات المؤهلات فنيا ٣%. وتقول مجلة واس نيوزاندود ولد ريبورت: إن ٨٠% من الأمريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا إلى رواتب الرجال. وفي فرنسا: كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقة في وجه الفتيات، ولا يدرس في المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠، وفي معهد الإلكترونات والأجهزة الإلكترونية يدرس به ٦٢ طالبة من أصل ٢٦٠٠، ونسبة المهندسات ٨,١% والطبيبات ٦% والفنيات ١١%. وفي اليابان: لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك عن ١٠% ممن أنهين الدراسة الثانوية، أما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة الثانوية فهي قليلة. وفي عام ١٩٧٩م لم يحصل سوى ٢٠% من خريجات المعاهد العليا والكليات التي تستمر مدة الدراسة فيها سنتين على عمل، وتشكل النساء ٨% من المدرسين في المعاهد، ١٠% من الأطباء. ونسبة النساء اللاتي يتمتعن بعضوية النقابات الأمريكية في تناقص مستمر، فقد كانت النسبة ١٧% في عام ١٩٥٠م وأصبحت ٥,١٢% في عام ١٩٧٨م، والأمريكيات غير

النقابيات محرومات عمليا من الحماية القانونية ومن المعاش التقاعدي والإجازات السنوية والإجازات المرضية المدفوعة الأجر، وأجور هذه الفئة من النساء تقل بنسبة ٢٥% عن النساء النقابيات؛ مما يزيد من متاعب المرأة العاملة في المجتمعات الغربية. ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربية الأطفال والأمومة أو ضمانات لإجازات الحمل والولادات المدفوعة الأجر، وفي هذا الصدد ذكرت مجلة بوليتكل افريزر الأمريكية مثلًا: إن مؤسسات حضانة الأطفال في الولايات المتحدة لا تتسع لأكثر من مليون طفل، وهذا رقم متواضع للغاية. وقد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٢/ ٧/ ١٩٨٠م دراسة تحت عنوان هموم المرأة الأمريكية قالت فيها: تقول جلوريا ستاتيم رئيسة تحرير مجلة مز: إن هذه القضية أساسية؛ لأنها تمس آدمية المرأة، ولا بد أن يتحرر جسد المرأة كأساسٍ للتحرر السياسي، وهذه القضايا هي: الاعتداء على الفتيات والنساء، وضرب الزوجات، والاضطهاد بسبب الجنس، والعنف داخل العائلة، والإجهاض. ولكن ليس معنى هذا أن المرأة الأمريكية تركت جانبا بقية القضايا وفي مقدمتها المساواة في الأجر، فمن الثابت –حسب إحصاءات مكتب العمل– أن المرأة التي تقوم بنفس العمل –عمل الرجل– تحصل على أجر يوازي ٦٣% من أجره فقط، ومنها فرص التدريب والتقدم المهني. ومنها الأمن والأمان في وظيفة، فالمرأة –نظرا لحداثة عهدها بالعمل– هي آخر من يُعين وأول من يُفصل. ومنها الاضطهاد بسبب الجنس، ومنها دور الحضانة، فإحصاءات ١٩٧٨م تقول: إن ٨,٥ مليون امرأة أي ٤٤% من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الأقل في سن ما قبل الدارسة، وذلك مقابل ٣٠% سنة ١٩٧٠م، وهذا يعني أنه مطلوب ٨,٥ مليون مكان على الأقل في دور الحضانة، بينما المتاح هو مليون مكان فقط. إن الأرقام تقول: إنه من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة، فإن المرأة لا تعمل سوى عشرين نوعًا. وأن النساء اللاتي يمكن القول بأنهن وصلن إلى مراكز مرموقة لا تزيد نسبتهن عن ٢: ٣%، والمعيار هنا هو ألا يقل المرتب عن ١٥ ألف دولار. والمرأة في مجموعها لا تحصل على أجر متساو مع الرجل، وتتحمل أعباء أكثر من طاقتها، فهي تعمل في البيت بالإضافة إلى ٨ ساعات يوميًا. وتستمر الدراسة قائلة: إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن أصبحت تمثل المكان الأول في قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة –فضلًا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادي من زوجها– بمعنى أنه بمجرد طلاقها تفقد حقها في أن يكون لها وضع اقتصادي يسمح لها أن تبتاع بالتقسيط، وهي قضية أساسية في أمريكا. بالإضافة إلى أن عمل الزوجة –وبخاصة في الريف–

لا يعتبر عملًا إنتاجيًا اقتصاديًا لها، إذ يخضع نصيبها في الميراث لضريبةِ التركات، بعكس زوجها المعترف بدوره الإنتاجي، فميراثه من زوجته لا يخضع للضريبة، والمرأة الأمريكية بعد زواجها تدفع ضرائبَ دخلٍ بنسبةٍ أعلى من غير المتزوجة، ولذلك فقد بدأ عدد من الأزواج ينفصلون بالطلاقٍ عندماً يقترب موعد تقديم الإقرار الضريبي ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الإقرار الضريبي. جاء في جريدة اليمامة العدد ١٤٤٣ بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٩٩٧م ما يلي: الفرنسيات يعترفن: نحن ألعوبة بيد الرجل ولا نتساوى معه!. ربما تتساوى المرأة مع الرجل في السويد على مستوى السياسة ولكنها لا تزال تنظف المنزل وتعد الطعام وتعنى بالأطفال أكثر بكثير من الرجال. كما أن دائرة نفوذها ضيقة أو لا تملك نفوذا على الإطلاق في عالم المال والأعمال. تشيد الأمم المتحدة بالسويد كواحدة من أكثر الدول تحقيقًا للمساواة بين الجنسين في العالم ورائدة للحقوق مثل حق الإجهاض والحصول على فترة راحة لعناية بالطفل. ولكن في الحقيقة يتعين عليها أن تقطع شوطًا طويلا لتحقيق مساواة فعلية وفقا لإحصاءات ودراسات حديثة"[١].

وقديما في اليونان "قُصِر دور النساء عامةً على أداء الشعائر الدينية، والإشراف كذلك على عمليتي الولادة والوفاة باعتبارهما من التجارب الانتقالية... أي أن صورتهن مرتبطة بأداء خدمة مزدوجة ذات وجهين، وهي إخراج الجسد من الرحم ثم حمله إلى القبر..."[٢]، "أما عند الرومان فقد كان الأمر عندهم في العصر القديم أن الأب ليس ملزماً بقبول ضم ولده منه الى أسرته ذكراً كان أو أنثى، بل كان يوضع الطفل بعد ولادته عند قدميه، فاذا رفعه وأخذه بين يديه كان دليلاً على أنه قبل ضمه الى أسرته، وإلا فإنه يعني رفضه لذلك"[٣]؛ الأمر الذي كان مظهراً من مظاهر الأبوية الصارخة. وقد "كانت المرأة في شريعة حمورابي تُحسب في عداد الماشية المملوكة، حتى أن من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها. وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة"[٤]، "وإذا عدنا الى البيئة العربية قبل الإسلام، وجدنا المرأة العربية

---

(١) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام ١١/ ٧٣ – ٧٧، بتصرف يسير.

(٢) صورة المرأة في العصور القديمة، إفريل كاميرون، إميلي كوهرت، صـــ٢٥. وانظر: قصة الحضارة، ويل ديورانت، جـــ٧، صـــ١١٧-١١٨.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون، صـــ١٤.

(٤) المرجع السابق، صـــ١٧.

مهضومة في كثير من حقوقها، فليس لها حق الإرث، وليس لها على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، ولا لتعدد الزوجات حد معين، ولم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاية بها، كما لم يكن لها حق في اختيار زوجها، ولقد كان رؤساء العرب وأشرافهم فحسب يستشيرون بناتهم في أمر الزوج، كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية. وكان الرجل إذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الاكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، ويعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوباً، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء. وكانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى، وكانت بعض قبائلهم تئدها خشية العار"[١].

أما عندما جاء الإسلام، فقد جاء بالعدل والنور والرحمة، ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما، فأثبت للمرأة حقوقا عجزت ومازالت عاجزة عن نيلها دون الإسلام، وفي النقاط التالية توضيح لما يمكن استحضاره حول النقلة التي انتقلتها مكانة المرأة بعد مجيئ هذا الدين[٢]. وحديثنا في هذا المقام إنما هو من حيث الموقف الإسلامي في صورته الجلية، وليس الحديث عن واقعها اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية، فليس خافياً أن المرأة المسلمة اليوم في بعض مجتمعاتنا "هي أكثر تعرضا لافتراس جاهليتين: جاهلية القرن الرابع عشر الهجري أي جاهلية الغلو والتشدد والتقليد الأعمى لما وجد عليه الآباء، وجاهلية القرن العشرين الميلادي أي جاهلية العري والإباحية والتقليد الأعمى للغرب، وكلتا الجاهليتين خروج وافتئات على شرع الله"[٣]؛ وذلك أن بعض هذه المجتمعات انحرفت في بعض مفاهيمها عن تعاليم الإسلام "في معاملة النساء، وشاعت بينهم روايات مظلمة وأحاديث إما موضوعة أو قريبة من الوضع انتهت بالمرأة المسلمة إلى الجهل الطامس والغفلة البعيدة عن الدين والدنيا معا"[٤]؛ فظلمت المرأة وعوملت بالهوى، فحرمت مما أبيح لها كالعمل وغيره، مع أنه "لم يأت في النصوص الشرعية الحديث عن عمل المرأة بوصفه واجبا أو ممنوعا"[٥]، ورغم هذا وضعت حياتها محل تساؤل عن جدواها، فعُطّلت عن أداء واجباتها تجاه بنات جنسها، وعن ما تتقنه تجاه مجتمعها.

---

(١) المرجع السابق، صـــ١٩-٢٠. وانظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـــ٨/ ـــ٢٠٨-٢١٠.

(٢) انظر المرجع السابق، صـــ٢٣-٢٦.

(٣) تحرير المرأة في عصر الرسالة. ٣٤/١.

(٤) المرجع السابق، ٩/١.

(٥) إشكالية المصطلح النسوي، د. خالد بن عبد العزيز السيف، صـــ٢٠٨.

ونحن إذا تأملنا حقيقة الموقف الإسلامي سنجده يقوم على العدل، وليس المساواة المطلقة[١]؛ لأن العدل: وضع الشيء في موضعه، وبالتالي فإن المساواة بين المختلفين لا تقل ظلما عن التفريق بين المتماثلين. وإعمالاً للواقعية في التعامل مع كل جنس بما يصلح له قال تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}[النساء:٣٢]، ولهذا وصف بعض علماء الإسلام الدعوة إلى المساواة المطلقة بأنها "نظرية إلحادية؛ لما فيها من منازعة لإرادة الله الكونية القدرية في الفوارق الخلقية والمعنوية بينهما، ومنابذة للإسلام في نصوصه الشرعية القاطعة بالفرق بين الذكر والأنثى في أحكامٍ كثيرة"[٢]، كما وصفها بعض العلماء بـــ"الفكرة الكافرة، الخاطئة الخاسئة، المخالفة للحس والعقل، وللوحي السماوي وتشريع الخالق البارئ من تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين، فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني ما لا يخفى على أحد إلا من أعمى الله بصيرته."[٣]. والذي يهمنا هنا التأكيد عليه هو أن الإسلام كان في غاية العدل بين الذكر والأنثى عندما وضع كل نوعٍ في موضعه الصحيح؛ "فمحاولة استواء المرأة مع الرجل في جميع نواحي الحياة لا يمكن أن تتحقق؛ لأن الفوارق بين النوعين –كونا وقدرا أولاً، وشرعا منزلا ثانياً– تمنع من ذلك منعا باتاً"[٤]، ولهذا نجد الإسلام في باب الشهادات –مثلاً–[٥] يضع كُلاً في موضعه الصحيح؛ فتارةً يقدم شهادة الرجل كالشهادة في البيوع، وتارةً يقدم شهادة الأنثى كعيوب النساء والبكارة والولادة والرضاع، وتارةً يساوي بينهما بل يبطل شهادة الرجل بشهادة الأنثى كما في اللعان، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله : "قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

(١) انظر للاستزادة حول دعوى المساواة في النسوية ونقدها: المبحث الثاني من كتاب "المرأة واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدها (سيداو) دراسة نقدية شرعية"، والفصل الثالث من كتاب "مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية دراسة نقدية تحليلية في ضوء الثقافة الإسلامية".

(٢) حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، صـــ٢١.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٣/ ٢٧.

(٤) المرجع السابق، ٧/ ٤١٥.

(٥) نذكر هذا على سبيل المثال؛ لأن الغاية هي بيان الجذر المحوري في كل أحكام الإسلام وأنها قائمة على العدل لا على المساواة، وبهذا يتضح موقف هذا الدين من أس المساواة لدى الاتجاه النسوي وكذا موقفه من الجندر وتفضيل المرأة على الرجل. والمقام –لطبيعة الأبحاث المحكمة في المجلات العلمية– لا يتسع للتفصيل في كل القضايا كالإرث، والولايات العامة، والحقوق السياسية، والولايات الصغرى في الزواج والوالدية وغيرها، والحقوق الاقتصادية، وحقوق التعليم ...الخ.

الْأُخْرَى}[البقرة: ٢٨٢]، فيه دليلٌ على أنَّ استشهاد امرأتين مكان رجل إنَّما هو لإذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت، وهذا إنَّما يكون فيما يكون فيه الضلال في العادة، وهو النسيان وعدم الضبط، وإلى هذا المعنى أشار النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث قال: "وأَمَّا نُقْصَانُ عَقْلِهِنَّ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ"، فبين أنَّ شطر شهادتهنَّ إنَّما هو لضعف العقل لا لضعف الدِّين، فعلم بذلك أنَّ عدلَ النساء بمنزلة عدلِ الرِّجال، وإنَّما عقلها ينقص عنه، فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف رجل، وما يقبل فيه شهادتهنَّ منفرداتٍ إنَّما هو أشياء تراها بعينها، أو تلمسه بيدها، أو تسمعه بأذنها من غير توقف على عقل، كالولادة والاستهلال، والارتضاع، والحيض، والعيوب تحت الثياب، فإنَّ مثل هذا لا يُنسى في العادة ولا تحتاج معرفته إلى كمال عقل، كمعاني الأقوال التي تسمعها من الإقرار بالدِّين وغيره، فإنَّ هذه معانٍ معقولة، ويطول العهد بها في الجملة."[(١)]. وكذلك الحال في الميراث، إذ ترث المرأة في أحوالٍ أكثر من الرجل، وفي حالاتٍ ترث بالتساوي معه، وفي بعض الحالات ترث ولا يرث، والذي يعنينا هنا هو أن نؤكد على أن فلسفة الميراث في الإسلام لا تتعلق بالذكورة والأنوثة، وإنما تتعلق بعدد من المعايير، منها درجة قرابة الفرع الوارث (فمثلا البنت مع الإخوة ترث أكثر منهم)، ومنها: موقع الجيل الوارث (فمن يستقبل الحياة كالأبناء يكون نصيبه أكثر ممن يودع الحياة كالآباء)، ومنها: النظر إلى من يتحمل الأعباء الاقتصادية عند التساوي (كالزوج والزوجة والابن والبنت)، فالإسلام منظومة متكاملة عندما يشرع حكما تجده عند التأمل قائما على العدل بالنظر إلى كامل الصورة، فالزوجة في حياتها تكون محل الكفالة من زوجها، عليه السكنى والنفقة والمهر ومتعة الطلاق، وفي المقابل إذا سبقته بالموت كان نصيبه من ميراثها النصف، وهو الحال ذاته في كل الصور التي يثيرها أعداء هذا الدين كشبهاتٍ على عدالة الإسلام.

وهذا الموقف الإسلامي القائم على العدل يحمل في طياته موقف الإسلام من مفهوم الجندر، حيث يقر الإسلام وجود التمايز بين الذكر والأنثى، وهذا الأمر –إضافةً إلى كونه معلوماً بالضرورة العقلية القائمة على ضرورة الحس المشاهد– هو من المعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}[آل عمران:٣٦]، وقال: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}[النجم:٤٥]، وقال تعالى: {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ١/ ٣٩٩.

وَالْأُنْثَى}[القيامة:٣٩]، وقال: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}[الليل:٣]، وقال تعالى:{رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ} [الفتح:٢٥]، وقال:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}[النساء:١]، وبناءً على هذا فقد مايز الإسلام بين هذين الجنسين في الأحكام على أساس العدل؛ لتقوم حياة الإنسان على أساسٍ من الواقعية التي لا تلغي الفوارق من جهة، وأساسٍ من العدل الذي يضع كل شيءٍ في موضعه الصحيح. ولأن إلغاء هذه الفوارق يترتب عليه فسادٌ عريض في كامل المجتمع، ومراعاةً لمصلحة الإنسان؛ فقد حرم الإسلام تشبه أحد الجنسين بالآخر، بل جَعَله من الكبائر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[(١)]، وعن ابن عباس، قال: لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»[(٢)]. والمتأمل في آثار[(٣)] فكرة الجندر على الإنسان يدرك بدون أدنى شك ما يترتب على مثل هذه الفكرة من دمارٍ للمجتمعات، بدءاً بتشكيكه في أصول الأديان، مروراً بإلغائه نظام الأسرة، وبالتالي كل الأدوار الناتجة عنه من أبوة وأمومة وبنوة وزوجية، وانتهاء بإلغاء القيم وتدمير الأخلاق الناتج عن العلاقات الجنسية المحرمة وشيوع الشذوذ الجنسي، وانتهاءً بتدمير المجتمعات لما يترتب على مثل هذه الفلسفة من آثار اقتصادية واجتماعية وصحية خطيرة.

ومن خلال هذا يمكننا أن نفهم الموقف الإسلامي من دعوى الحرية التي نادى بها الاتجاه النسوي، فنظرة الإسلام قائمة على العدل، وهذا يقتضي ضرورة منع ضده وهو الظلم، فكما أن الإسلام منح الإنسان حريته في جوانب كثيرة، فقد قَيّد جوانب أخرى؛ إحقاقاً للحق ومنعاً للتظالم بين الناس؛ إذ أن الحرية المطلقة –إضافةً إلى كونها مستحيلة التطبيق واقعياً– تؤدي إلى التظالم ضرورةً وتسلط الأقوى على الأضعف، كما أنها تستلزم بالضرورة انفلات المجتمع وشيوع الفوضى وانعدام الأمن والقضاء على السلم الاجتماعي.

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب: المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم (٥٨٨٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب: إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، رقم (٥٨٨٦).

(٣) للاستزادة حول هذا الأمر تفصيلاً يمكن مراجعة الفصل الثاني من كتاب "مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية دراسة نقدية تحليلية في ضوء الثقافة الإسلامية"، والمبحث الثالث من كتاب "المرأة واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدها (سيداو) دراسة نقدية شرعية".

وقد منح الإسلام المرأةَ كما منح الرجل: حرية الاعتقاد، قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[الكهف:٢٩]، وقال: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا}[المزمل:١٩]، وقال: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة:٢٥٦]، ومنحها حرية التصرف في نفسها، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»(١). كما منحها حرية الكسب فقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[النساء:٣٣]، ومنع الاعتداء عليها في مالها، قال تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا}[البقرة:٢٢٩]، كما منحها حقها في الميراث فقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء:٧]، كما منحها حرية التعلم والتعليم، وكل ما ذكر هو من المعلوم من الدين بالضرورة، وشهرته تغني عن التفصيل فيه، والذي يهمنا هنا هو التأكيد على أن الإسلام منح المرأة –كما منح الرجل– حرية الاعتقاد والحرية في النفس والمال والعقل، ووضع في كل ذلك من الضوابط ما يضمن تحقيقه على أكمل وجه دون إفراط أو تفريط أو اعتداء، وهذا كله عائد إلى واقعية الإسلام من جهة، وقيام أحكامه على العدل من جهة أخرى. ولهذا كله ولأن الباري عز وجل يريد صلاح الإنسان فقد بين تعالى أنه أكمل لنا هذا الدين فقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة:٣]، وبين لنا الدين الذي ارتضاه فقال: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[آل عمران:١٩]، وحسم لنا الموقف من هذا الدين فقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران:٨٥]

ويمكن لنا أن نلخص مكانة المرأة في الإسلام في هذه النقاط(٢):

١. في أصل الخلقة نجد الإسلام ساوى المرأة إنسانيا بالرجل، فـ "المساواة مقصد قرآني كما في آيات كثيرة من القرآن الكريم من ناحية الأمر والنهي، وكذلك ما يترتب على ذلك من الجزاء الأخروي"(٣)، فـ"الأصل المساواة بين المرأة والرجل إلا ما دل عليه الدليل من اختصاص أحدهما، أو مانع عقلي فرق بينهما ليستقيم نظام

(١) رواه البخاري، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، برقم (٥١٣٦).

(٢) انظر في هذا الأمر تفصيلاً: "موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام" خصوصا في الأجزاء الثلاثة الأخيرة، ونظرات في المساواة بين الجنسين للغفيلي، والمبحث الخامس من "مفهوم النسوية دراسة نقدية في ضوء الإسلام".

(٣) إشكالية المصطلح النسوي، د. خالد بن عبد العزيز السيف، صـ١٣٨.

الحياة"[1]؛ فيقول سبحانه: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]، فأثبت أن النفس واحدة في الذكر وفي الأنثى. ويقول عز من قائل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[الروم:٢١]، فأوضح أن أساس العلاقة بين الرجل والمرأة قائم على المودة والرحمة المتبادلة.

٢. رفع عنها اللعنة التي ألصقها بها رجال الأديان المحرفة، قال تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[طه:١٢١]، وفي الآية يلوم الله تعالى آدمَ عليه السلام قبل حواء، ويثبت أن الخطيئة لم تكن ذنبها وحدها.

٣. ساواها بالرجل دينيا، في التكاليف والعبادات من حيث الجملة، وفي تساوي الجنسين في الحساب والجزاء يقول تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}[المدثر:٣٨]، ويقول جل وعلا: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}[النجم:٣٩]، ويقول الله عز وجل: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٧]، و كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا قَالَ: «يَغْتَسِلُ»، وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ، وَلَا يَرَى بَلَلًا، قَالَ: «لَا غُسْلَ عَلَيْهِ» فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ تَرَى ذَلِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»[2]، فهي والرجل سواء بسواء في أصل التكليف والحساب والعقاب والجزاء، وهذا أكبر دليل على مكانتها في الإسلام وكفاءتها.

٤. حارب الحزن لولادتها، وبين أنه من عدم العدل فقال: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[النحل:٥٨-٥٩] ، وفي ختمه هذه الآية بقوله {أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} إشارة لطيفة على أن موقفهم ذاك من عدم العدل، وفي هذا من التأكيد على أصل التساوي ما لا يخفى.

---

(١) نظرات في المساواة بين الجنسين، فهد بن محمد الغفيلي، صـــ٢٧.

(٢) مسند أحمد، ٢٦١٩٥، جـــ٤٠، صـــ٩.

٥. حرم وأدها فقال: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[التكوير:٨-٩]. وفي هذا من الإكرام والعناية ما لا ينكره إلا مكابر.

٦. أمر بإكرامها فقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[الأحقاف:١٥]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلَّمها فأحسن تعليمها، وأدَّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران، وأيما رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وأيما مملوك أدى حق مواليه وحق ربه فله أجران"[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: "أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ"[٢]، فجعلها أولى بالبر، وأقرب لأولادها، وأعظم فضلا عليهم.

٧. رغَّب في تعليمها كالرجل فقال: "أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران" ويقول الله عز وجل: {وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً}[الأحزاب: ٣٤].

٨. أعطاها حقها في الميراث ولو كانت في بطن أمها فقال: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}[النساء:٧]، ومنع في هذا المقام معاملتها كالأشياء الموروثة وأمر بمعاملتها بالحسنى فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩].

٩. نظَّم حقوق الزوجين بما يضمن الكرامة للإنسان ويحمي مكانة الأسرة فقال: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا

---

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب تخاذ السراري، ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، ٥٠٨٣، جـ٧، صـ٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ٢٥٤٨، جـ٤، صـ١٩٧٤.

إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة:٢٢٨]، وقد بين شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله معنى لطيفاً في قوله {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} فقال: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن "الدرجة" التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع، الصفحُ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه. وذلك أن الله تعالى ذكره قال:" وللرجال عليهن درجة" عَقيب قوله:" ولهن مثلُ الذي عليهن بالمعروف"، فأخبر تعالى ذكره أن على الرجل من ترك ضرارها في مراجعته إياها في أقرائها الثلاثة وفي غير ذلك من أمورها وحُقوقها، مثل الذي له عليها من ترك ضراره في كتمانها إياه ما خلق الله في أرحامهنّ وغير ذلك من حقوقه. ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل إذا تركن أداءَ بعض ما أوجب الله لهم عليهن، فقال تعالى ذكره:" وللرجال عليهن درجة بتفضّلهم عليهن، وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن، وهذا هو المعنى الذي قصده ابن عباس بقوله: "ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها" لأن الله تعالى ذكره يقول:" وللرجال عليهن درجة""[1]، وفي هذا إشارة بالغة الأهمية إلى أن هذه الآية ينظر لها من زاوية الأخلاق والقيم، لا من جهة المكانة وعدم المساواة.

وفي ما يتعلق بتنظيم الحقوق يقول تعالى أيضاً: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}[النساء:٣٤]، فهم منفقون عليهن، وليس في هذا تفضيل لجنس على جنس، وإنما مراعاة لما يطرأ على المرأة دون الرجل من تغيرات شهرية قد تؤثر على تماسك الأسرة لو كان القرار حينها في يد المرأة، وفي هذا من الواقعية في النظرة الإسلامية والحرص على كيان الأسرة ما لا يخفى.

وفي ذات السياق يقول تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا }[النساء:٣٥]، فأعطاها حلولا إن خشيت ظلما أو هضما، ولم يجعل أمرها كله بيد الزوج، وفي هذا يقول تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤ جـ٤، صـ٥٣٦.

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء:١٢٨]، وهنا يلحظ المنصف أن الإسلام إذا تحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة فإنه لا يربط الأمر بالتباين في أصل التكوين أو عدم التساوي المزعوم في أصل الإنسانية – كما تفعله الأديان المحرفة والفلسفات الموضوعة – وإنما يربطه بالقيم ومكارم الأخلاق، وفي قوله تعالى في الآية السابقة {وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} من التأكيد على هذا المعنى ما لا يخفى.

كما جعل لها الحق الكامل في اختيار شريك حياتها، وحرم عضلها فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩].

١٠. نظَّم الطلاق، وجعل به من القوانين ما يحفظ للمرأة حقها وكرامتها، قال تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[البقرة:٢٢٩]، وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}[الطلاق:١-٢]، وقال: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا}[النساء:١٣٠]. وفي قوله: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} وقوله:{فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} ما لا يخفى من التأكيد على ما سبقت الإشارة إليه في أن الإسلام إذا تحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة فإنه يربط ذلك كله بالقيم ومكارم الأخلاق وليس بالتأصيل للبحث الانطلوجي المتعلق بأصل الخلقة أو التباين المزعوم في أصل الإنسانية.

١١. حد من تعدد الزوجات، وشرطه بالعدل فقال:{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[النسلء:١٢٩]، هذا بعد أن كان في الجاهلية بلا عدد محدود. يقول تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاء مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}[النساء:٣-٤].

١٢. ساواها بالرجل إنسانيا، واجتماعيا وحقوقيا، وإنما اختلفت عنه في الشهادة، والميراث، والدية، ورئاسة الدولة[١]، ففي الشهادة لا يتعلق الأمر بالانتقاص من قدرها، فهي كالرجل سواء بسواء في كل المعاملات المالية، وفي الميراث فهي لا ترث دائما نصف ميراثه، بل قد ترث أكثر منه، وقد ترث ولا يرث، وقد ترث أقل منه، وإنما هذا بمقابل تكليف الرجل بالنفقات والمهور دونها[٢]، وكذلك الدية، فهي مجرد تعويض مالي مقابل مقدار الخسارة التي تقع ماليا، فالرجل أشد خسارة على الصعيد المالي، والدليل أنها في القصاص حكمها كالرجل لأنه أمر إنساني، لا يتعلق بتعويض الخسارة المالية، وإنما بحق إنساني اتفقت هي والرجل في الكفاءة فيه.[٣] أما رئاسة الدولة فيطول الحديث فيه بالخلاف بين العلماء أصلا في هل لها أن تحكم أو لا، وفي الحالتين فهذا لا يقلل من إنسانيتها، ولا من مكانتها الاجتماعية ولا يحرمها شيئا من حقوقها.

١٣. لم يوجب عليها النفقة ولا الجهاد ولا صلاة الجمعة، وفي المقابل تحتجب ولا يحتجب، والعصمة في الطلاق بيده، وله القوامة، ويؤمها في الصلاة ولا تؤمه، ويؤذن للصلاة ولا تؤذن.

إن المتأمل يجد المرأة الغربية في سعيها للحرية كانت في الحقيقة تتخلى عن هويتها لأجل أن تقترب من هوية الرجل الذي تراه متفوقا عليها، بينما في الإسلام تنال المرأة حقوقها إضافة إلى حفاظها على هويتها وكيانها متميزا عن الرجل. فـ "الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة فيما ينسجم مع الطبيعة النفسية والجسدية التي يتفرد بها كل منهما بما يختلف مع الآخر"[٤] فلكل جنس هويته، يقول تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، صـ٢٧.

(٢) انظر للاستزادة: تفنيد الشبهات حول ميراث المرأة في الإسلام، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي، الناشر: دار الصفا والمروة بالاسكندرية، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون، صـ٣٢.

(٤) جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة مؤتمرات المرأة الدولية، إكرام بنت كمال المصري، صـ٧٩.

أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران:٣٦] ويقول جل وعلا مبينا وجوب تمسك كل جنس بهويته: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[النساء:٣٢]. و"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ."[(١)]، فكل هذا من سعي الإسلام لحفظ هوية كل جنس، لحصول التوازن في الأرض؛ إذ أنه من العدل عدم تبادل الأدوار بين الجنسين مع اختلاف ظروفهما وما يمر عليهما، "وإذا كان بعض الأسلاف –مع إقرارهم بجواز المشاركة– قد اختاروا اعتزال النساء الرجال، وسنوا بذلك سنة جديدة تخالف السنة النبوية، فَفِعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أحب إلينا من فعل غيره، وسنته –صلى الله عليه وسلم– أحب إلينا من سنة غيره. ويعزز هذا أن الاقتداء به –صلى الله عليه وسلم– في أفعاله محمود مالم يقم دليل على الخصوصية. وهو القائل: "خير الهدي هدي محمد""[(٢)].

والله تعالى نسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه؛ ابتغاء وجهه الكريم؛ إنه أكرم من دُعي وأرجى من سُئل.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من الرجال بالنساء، ٥٨٨٥، جـ٧، صـ١٥٩.

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة، ٦٧/٢.

الخاتمة:

بعد حمد الله تعالى على ما يسره من إتمام هذا البحث؛ فقد خَلُصتْ الدراسة إلى عــدد من النتائج وهي:

١. انتهينا في التمهيد لهذه الدراسة إلى الكشف عن صيرورة الحركة النسوية، وابتعادها عن التحديد الذي يبين حقيقتها للآخر، وذلك راجع –لما بيّناه– إلى بُعدها عن الوحي الإلهي كمصدرٍ لاستقاء الحقائق، وبنائها على عدميةِ الهوية الإنسانية، وتعاملها البراجماتي مع الفلسفات والتيارات الفكرية الأخرى حتى تبرر مزاعمها.

٢. النزعة الفلسفية الشمولية التي تطورت إليها النسوية؛ بحيث لم تعد قاصرةً على الدفاع عن المرأة كجنس آخر، وإنما باتت تُقدم نفسها بوصفها فلسفة إنسانية بديلة تستهدف الإنسان وما يتعلق به من مجالات الحياة المختلفة.

٣. أن الفكر النسوي يقوم على أسس فلسفية تمثل مقدماتٍ أوليةٍ يدور في فلكها تنظيرُها لمختلف الموضوعات والقضايا، ويمكن عرضها كالتالي:

أ. أن النسوية تقوم على موقفٍ من مفهوم الأنثى لا يخرج عن حدين هما: مساواة الأنثى بالذكر مطلقاً، وهو تصور قد يراعي الاختلافات الطبيعية بين الجنسين وقد لا يراعي –كما أظهرنا ذلك بالاستقراء التاريخي–، والثاني هو تفضيل المرأة على الرجل كمسلَّمَةٍ يتبناها التيارُ النسوي بالاستناد على الجهل بالألوهية الحقة وحقيقة الخلق، أو المناداة بها كتعويضٍ للنقصِ الذي أصاب المرأةَ في مختلف المجالات. وفي كلا الحدين يظهر اتفاق النسوية على فقدان المرأة لتعريفٍ ثابتٍ لماهيتها، وحينئذ تفقد ذاتَها من حيث هي تريد إثبات حقوقها والنصرة لها.

ب. أن النسوية تقوم على مُسلَّمةِ المطالبةِ بالحرية المطلقة وضرورة تحققها للمرأة؛ حتى تتمكن من الحصول والتقدم في مختلف الفرص في المجال العلمي والاقتصادي...إلخ، الأمر الذي يكشف الواقعُ عن تعذرِ تحققه لأسباب خارجية، وأسبابٍ داخليةٍ تتعلق بطبيعة الأنثى ذاتها؛ وهو الأمر الذي نتج عنه ولادةُ تياراتٍ نسويةٍ متطرفة تدعو للقطيعة مع الآخر وتنادي بالمتمركز حول المرأة واكتفائها بذاتها.

ت. أن الموقف من الدين يمثل أحد أركان التفلسف في الفكر النسوي؛ وهو موقف يقوم على نفي حقيقة الدين بذاته، أي: إخراجه عن كونه مصدراً

للحقيقة؛ فظهر الاتجاه النسوي المعادي للدين؛ بوصفه خَلْقاً لنزعة الهيمنة الذكورية، وأداةً أيديولوجيةً خطيرة لاستمرارية الهيمنة على المرأة، في حين بدأ المتأخرون بالتسامح مع الأديان وإدراك ضرورتها لكن بصورة مشروطة بتطابقه مع مُسَلَّمة المساواة المطلقة بين الجنسين، أو مُسَلَّمة أفضلية الأنثى على الرجل؛ وهذا يفسر اهتمام أصحاب هذا الاتجاه بالتأويل ومنهجياته الحديثة، ومحاولة إعمالها في النص الديني.

ث. أن حقيقة "الجندر/النوع الاجتماعي" تمثل أحدر أركان الفلسفة النسوية؛ بحيث شكل أساساً مركزياً في قضية الانتصار لحقوق المرأة وطلب مساواتها مع الرجل في مجالات العمل المختلفة، وظهر هذا الأساسُ – بصورة صريحة عند المتأخرين من النسويين والنسويات– بشكل عدميٍّ ينفي حقيقة الإنسان الفطرية، والانطلاق من هذا إلى تصوير الدور الأنثوي على أنه محضُ مؤامرة ذكورية.

٤. انتهى النقد إلى الكشف عن أن السبب الرئيس في ظهور النسوية بهذا الشكل وتطور دعواتها بصورة متطرفة وشاذة وفجة هو: طبيعة السياقات الدينية والفلسفية والاجتماعية التي أفرزت مفاهيماً خاطئةً حول حقيقة الذكورة والانوثة، وأسهمت في تشكيل تصورٍ خاطئ يقوم على أحادية جنس الذكر، وهو خطأ ستسير فيه الفلسفة النسوية لتبرير وجود الأنثى.

٥. أن نشوء الفلسفة النسوية كتيارٍ فكري في البيئة الإسلامية لا يمكن أن يجد لدعواه القائمة على مظلومية المرأة أي مبرر في الإسلام لا عقيدة ولا شريعة؛ لأن الإسلام أقام العدل كأساسٍ للحقوق وأساسٍ لوظيفة النوع الاجتماعي ونحوها، كما جعل المساواة –التي تتمثل في كون الرجل والمرأة بشراً– أساساً مركزياً في العديد من المسائل والتشريعات، وجعل التكامل هو الغاية التي ينتهي إلى إقرارها كلا الموجودَين البشريين في مختلف مجالات الحياة؛ بحيث رسخ الحاجةَ بينهما على أساسٍ غائي يستقيم به أمر المعاش.

التوصيات:

١. على الباحثين التوسع في دراسة أسس الفكر النسوي وتحليلها للوصول لأدق الحلول حولها.

٢. ينبغي لمن يتبنى الفكر النسوي أن يوغل في دراسته أولا ليتأكد إن كان هناك ما يستحق، ثم إن وجد ما يستحق أن يسعى لتأسيس مذهب فلسفي حقيقي يمكن نقده وفق أسسه الثابتة.

٣. ضرورة إقامة مؤتمراتٍ دولية متخصصة تسهم في إشاعةِ الخطاب العلمي الناقد القائم على قطعيات الدين والضرورات العقلية والمشهورات الواقعية، بين المختصين من جهة، والعامة –ممن تصلهم تأثيرات مثل هذه الاتجاهات الفلسفية– من جهةٍ أخرى، وتقديمة بمختلف الصور التي تسهم في تحقيق هذا الهدف.

٤. على الفكر النسوي أن يفكر مليا بما يعنيه أن يطالب بحقوق المرأة مع أن الظلم في العالم واقع على الجنسين، ثم يعيد النظر بجدوى هذا التيار الذي قد يضيع طاقاته هدرا، وأن يسخرها تسخيرا حقيقيا لرفع الظلم بكافة أشكاله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين

أهم المراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. أرسطو والمرأة، من سلسلة المرأة في الفلسفة(٢)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.

٣. استعباد النساء جون ستيورات مل، من سلسلة المرأة في الفلسفة(٥)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.

٤. الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. خديجة العزيزي. بيسان. بيروت–لبنان. الطبعة الأولى. ٢٠٠٥.

٥. إشكالية المصطلح الأنثوي دراسة دلالية مصطلح "المساواة".. "الحجاب".. "التمكين".. أنموذجا، د. خالد بن عبد العزيز السيف، تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر–السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٧. أفلاطون والمرأة، من سلسلة المرأة في الفلسفة(١)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.

٨. أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية. سوزان ألس واتكنز، مريزا رويدا، مارتا رودريجوز. ترجمة: جمال الجزيري. مراجعة علمية: شيرين أبو النجا. إشراف: إمام عبد الفتاح إمام. المشروع القومي للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. الطبعة الأولى. ٢٠٠٥.

٩. أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية. صوفيا فوكا، ريبيكا رايت. ترجمة: جمال الجزيري. مراجعة علمية: شيرين أبو النجا. إشراف: إمام عبد الفتاح إمام. المشروع القومي للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. الطبعة الأولى. ٢٠٠٥.

١٠. أنثوية العلم: العلم من منظور الفلسفة النسوية، د. ليندا جين شفرد، ترجمة: د. يمنى طريف الخولي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

١١. بنات إبراهيم الفكر النسوي في اليهودية، والمسيحية، والإسلام. تحرير: إيفون يازبيك حداد، جون إسبوزيتو. ترجمة: عمرو بسيوني، هشام سمير. ابن النديم للنشر والتوزيع. دار الروافد الثقافية–ناشرون. وهران–الجزائر. الطبعة الأولى. ٢٠١٨.

١٢.تحرير المرأة في عصر الرسالة دراسة عن المرأة جامعة نصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، عبد الحليم محمد أبو شقة، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠١١، ستة أجزاء، ثلاث مجلدات.
١٣.جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٤.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه.
١٥.الجنس الآخر الجزء الأول الواقع والأساطير، سيمون دي بوفار، ترجمة: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٥.
١٦.الجنس الآخر الجزء الثاني التجربة الحياتية، سيمون دي بوفار، ترجمة: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٥.
١٧.الجنس الملتبس السيرة الذاتية النسائية، لطيفة لبصير، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
١٨.جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة مؤتمرات المرأة الدولية، إكرام بنت كمال المصري، باحثات لدراسات المرأة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
١٩.الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية مقاربة جندرية، وفاء الدريسي، مؤمنون بلا حدود، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٢٠.جون لوك والمرأة، من سلسلة المرأة في الفلسفة(٦)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.
٢١.الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة، فدوى الجندي، ترجمة: سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.
٢٢.حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١١، ١٤٢٦هـ.
٢٣.حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها. د. هيفاء بنت ناصر الرشيد. مركز التأصيل للدراسات والبحوث. جدة-السعودية. الطبعة الأولى. ٢٠١٤.

٢٤.الحركة النسوية في اليمن تاريخها وواقعها، أنور قاسم الخضري (رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث–اليمن)، كتاب البيان سلسلة الحركة النسوية في العالم العربي(٣)، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
٢٥.خطاب المرأة تساؤلات راهنة وإضاءات فكرية، مجموعة مؤلفين، مؤمنين بلا حدود، الرباط–المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٢٦.الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم، الدكتورة فرح الفاضلي، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
٢٧.سيرة العنقاء من مركزية الذكورة إلى ما بعد مركزية الأنوثة، د. أسماء معيكل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، الطبعة الأولى،٢٠١٧.
٢٨.سيغموند فرويد في زماننا وفي زماننا، إليزابيث رودينسكو، ترجمة: سلمان حرفوش، دار التنوير، تونس– القاهرة– بيروت، الطبعة الأولى. ٢٠١٨.
٢٩.الشذوذ الجنسي في الفكر الغربي وأثره على العالم العربي، د. نهى عدنان القاطرجي، مركز الفكر الغربي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٣٠.صورة الرجل في القصص النسائي، سوسن ناجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
٣١.صورة المرأة في العصور القديمة، إفريل كاميرون– إميلي كوهرت، ترجمة: أمل رواش، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٣٢.الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ هـ.
٣٣.علم النفس الاجتماعي للجندر كيف تشكل الهيمنة والحميمية العلاقات بين النوعين، لوري رودمان– بيتر جليك، ترجمة: راقية الدويك، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
٣٤.فخ المساواة تأنيث الرجل.. تذكير المرأة، جاد الكريم الجباعي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط–المملكة المغربية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
٣٥.الفكر الأنثوي مدخل جدلي في صراع الفكرة والفطرة، فهد بن محمد الغفيلي، مركز الفكر المعاصر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٣٦.الفلسفة السياسية النسوية سؤال السيادة والكونية في فكر سيلا بنحبيب، د. عزيز الهلالي(دكتوراه في الفلسفة جامعة محمد الخامس- الرباط)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.
٣٧.الفلسفة السيداوية والنسوية السعودية، فهد بن محمد الغفيلي، مركز الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٧.
٣٨.الفلسفة النسوية، الدكتور إبراهيم طلبه سلكها، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، الريادة للنشر والتوزيع، دبي، د.ط، ٢٠١٩م.
٣٩.الفلسفة والنسوية، إشراف وتحرير: د. علي عبود المحمداوي، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
٤٠.الفيلسوف المسيحي والمرأة، من سلسلة المرأة في الفلسفة(٣)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.
٤١.كانط والمرأة، من سلسلة المرأة في الفلسفة(٩)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.
٤٢.مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقا. شارلين ناجي هيسي-بايبر- باتريشا لينا ليفي. ترجمة وتقديم: هالة كمال. المركز القومي للترجمة. القاهرة. الطبعة الأولى. ٢٠١٥.
٤٣.المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى بن حسني السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط٧، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٤٤.المرأة في العصور الوسطى الإسلامية، غافن هامبلي، ترجمة: د. أحلام عثمان- أحمد طلعت- حسن محمد حسن، مراجعة: حمدي عبيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
٤٥.المرأة في الفكر العربي الحديث قراءة في معارك عصر النهضة، د. أحمد محمد سالم، روابط للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
٤٦.المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين. ميادة كيالي. المركز الثقافي العربي. مؤمنون بلا حدود. الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان. الطبعة الأولى.٢٠١٥.
٤٧.المرأة واللغة. عبد الله محمد الغذامي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الثالثة. ٢٠٠٦.

٤٨.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٤٩.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٠.مشروع الحركة النسوية اليسارية بالمغرب منطلقاته أهدافه ووسائله المجتمع الغربي أنموذجا، د. عبد الرحمن محمود العمراني (أستاذ التعليم العالي كلية الآداب– جامعة القاضي عياض مراكش–المغرب) كتاب البيان سلسلة الحركة النسوية في العالم العربي(٢)، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
٥١.معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجي، باحثات لدراسات المرأة، الرياض–السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٥٢.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٥٣.مفهوم النسوية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، أمل بنت ناصر الخريف، باحثات لدراسات المرأة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
٥٤.مقالات في النسوية. مجموعة من المؤلفات. ترجمة: ضحوك رقية، عبد الله فاضل. الرحبة للنشر والتوزيع. دمشق–سوريا. الطبعة الأولى. ٢٠١٥.
٥٥.موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د.سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦ هـ.
٥٦.نحو نظرية نسوية في الدولة. كاترين أ.ماكينون. ترجمة: عبد الله فاضل. الرحبة للنشر والتوزيع. دمشق–سوريا. الطبعة الأولى. ٢٠١٨.
٥٧.النساء العربيات في العشرينات حضورا وهوية، تجمع الباحثات اللبنانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.
٥٨.نساء فلاسفة، من سلسلة المرأة في الفلسفة (٤)، أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مزيدة منقحة، ٢٠٠٩.
٥٩.النساء في الخطاب العربي المعاصر، باحثات كتاب متخصص يصدر عن تجمع الباحثات اللبنانيات، لبنان–بيروت، الكتاب التاسع ٢٠٠٣–٢٠٠٤.

٦٠.النساء وإعادة خلق السياسات في بلدان جنوب أفريقيا التفاوض حول الاستقلالية والإدماج والتمثيل، جيسلا جيسلر، ترجمة: عزة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
٦١.النساء يطالبن بإرث الإسلام (صياغة نسوية إسلامية من خلال الأدب)، مريام كوك، ترجمة وتقديم: رندة أبو بكر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٦٢.النسوية العربية رؤية نقدية، تجمع الباحثات اللبنانيات، إعداد وتحرير: جين سعيد المقدسي- رفيف رضا صيداوي- نهى بيومي، ترجمة الأوراق الإنجليزية: هدى مقنص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
٦٣.النسوية في الثقافة والإبداع. الدكتور حسين المناصرة. عالم الكتب الحديث. جدارا للكتاب العالمي. إربد-الأردن. الطبعة الأولى. ٢٠٠٧.
٦٤.النسوية مفاهيم وقضايا، مية الرحبي، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
٦٥.النسوية والقومية في العالم الثالث، كوماري جاياواردينا، ترجمة: ضحوك رقية- عبد الله فاضل، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٦٦.النسوية وحقوق المرأة حول العالم، الكتاب الأول: الإرث والأدوار والقضايا. ميشيل أ.بالودي. ترجمة: خالد كسروي. المركز القومي للترجمة. القاهرة. الطبعة الأولى. ٢٠١٨.
٦٧.نظرات في المساواة بين الجنسين، فهد بن محمد الغفيلي، باحثات لدراسات المرأة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
٦٨.نظرية الأدب النسوي، ماري إيجلتون، ترجمة: عدنان حسن- رنا بشور، دار الحوار، اللاذقية- سورية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
٦٩.هل أنا حرة؟، لين ستالسبيرج، ترجمة: شرين عبر الوهاب- أمل رواش، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشؤون الفنية، الجيزة، الطبعة الثانية، ٢٠١٨.
٧٠.هندسة الهيمنة على النساء الزواج في الحضارات العراق ومصر القديمة، د. ميادة كيالي، الناشر: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المملكة المغربية، التوزيع: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.